تيسير ذي الجلال والإكرام

بشرح

نواقض الإسلام

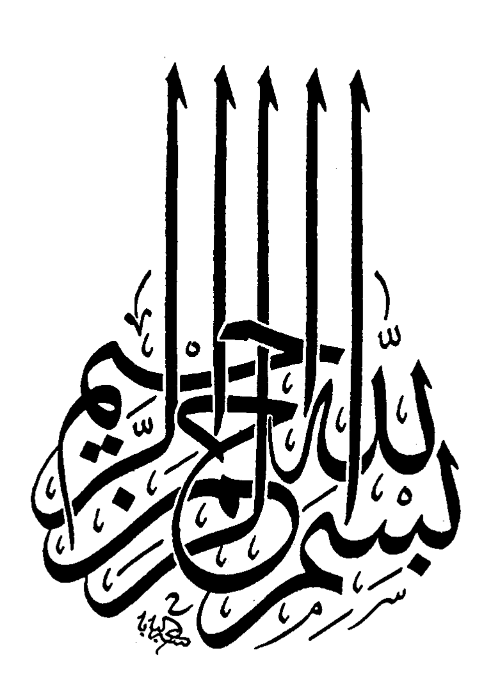
إعداد

سعد بن محمد القحطاني

تقديم

الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السعد

دار إشبيليا
للنشر والتوزيع



تيسير ذي الجلال والإكرام

بشـــرح

نواقض الإسلام

ⓒ دار أشبيليا للنشر والتوزيع ، ١٤١٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القحطاني ، سعد محمد صالح
تيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام .- الرياض.
١٢٠ ص ؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك : ٢ - ٤٣ - ٧٢٧ - ٩٩٦٠
١- الإسلام - دفع مطاعن ٢- العقيدة الإسلامية أ- العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٩/٠٧٩٠

رقم الإيداع : ١٩/٠٧٩٠
ردمك : ٢ - ٤٣ - ٧٢٧ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار إشبيليا للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - ص.ب: ٣٢٤٦٠ - الرياض: ١١٤٢٨
هاتف: ٤٧٩٤٣٥٤ - ٤٧٤٢٤٥٨ - فاكس: ٤٧٧٣٩٥٩

تقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن الله تعالىٰ أمرنا بالإسلام والإيمان، وحذرنا من الوقوع في الردة والكفران، فقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾. فعلىٰ المسلم أن يعرف نواقض الإسلام ومبطلات الإيمان حتىٰ يجتنبها.

أخرج البخاري في صحيحه ٣٦٠٦ و٧٠٨٤ ومسلم ١٨٤٧ كلاهما من طريق أبي إدريس الخولاني، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أساله عن الشر

مخافة أن يدركني . . . » الحديث .

وقد بيّن لنا ربنا تعالىٰ في كتابه ورسوله ﷺ في سنته هذه النواقض التي تنقض الإسلام وتوقع الإنسان في الردة، وجمعها أهل العلم وتحدثوا عنها، ومن هؤلاء الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمة الله تعالىٰ عليه فقد جمعها في رسالة لطيفة اسمها : نواقض الإسلام .

وقد اهتم أهل العلم بشرح هذه الرسالة وتدريسها، ومنهم الشيخ سعد بن محمد القحطاني ـ بارك الله فيه ـ في رسالته هذه «تيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام» .

وقد ذكر في شرحه هذا الأدلة من الكتاب والسنة التي تدل علىٰ المقصود، وذكر كلام أهل العلم فجزاه الله خيرا، آمين .

وكتبه

عبدالله بن عبدالرحمن السعد

المقـــدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أما بعد:

فإن أغلى ما يجب أن يعتز به المسلمون ويحافظوا عليه ويستمسكوا به، ويدعوا إليه، دينهم وعقيدتهم الإسلام، كيف لا وهو دين الله الحق الذي لا يرضى لهم من الدين غيره، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ولا يستقيم الدين إلا بسلامة التوحيد، وذلك بالاستمساك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

«وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها، وهو معنىٰ قول: لا إله إلا الله، فإن الإله هو المألوه، المعبود بالمحبة، والخشية، والإجلال، والتعظيم وجميع أنواع العبادة، ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وبه افترق الناس إلىٰ مؤمنين وكفار، وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار.

قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]. فهذا أول أمر في القرآن، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٤]. فهذا دعوة أول رسول بعد حدوث الشرك.. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُون﴾ [الانبياء: ٢٥]. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٧]. فهذا التوحيد هو أول واجب وآخر واجب، وأول ما يدخل به الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا»[١].

أما واقع الأمة الإسلامية اليوم، فنقف معه وقفة مناسبة ليتضح لنا مدىٰ التزامها بالتوحيد، أو بعدها عنه، ومدىٰ انغماسها في

---

(١) تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ص: ٣٦.

الشركيات، وضلوعها فيها.

فمن أكثر المبتدعات الشركية، وأخطرها على المسلمين، وأكثرها انتشاراً: تقديس الموتى، وقبورهم، والبناء عليها، وتخصيص النذور لها، والذبح عندها، ودعاء أصحابها من دون الله، والتمسح بها، وشد الرحال إليها، والعكوف والمجاورة عندها، والصلاة عندها، وفيها، واتخاذ الآثار ـ آثار الأنبياء والصالحين ونحوها ـ مزارات ومشاهد، والتبرك بها، واتخاذها أعيادا، ونحو ذلك مما هو معروف ومنتشر بين المسلمين.

وهذه البدع لاتزال جاثمة في أكثر بلاد المسلمين، وهي تزداد وتنتشر، وخاصة عند الشيعة وأصحاب الطرق ا لصوفية، التي ابتلي بها أغلب المسلمين.

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز في الخلاص من هذا الواقع للأمة الإسلامية:

«ليس من الخافي على كل من له أدنى علم أو بصيرة، أن العالم الإسلامي اليوم، بل العالم كله، في أشد الحاجة إلى الدعوة الإسلامية الواضحة والجلية التى تشرح لهم معنى «لا إله إلا الله» ومعنى شهادة «أن محمدا رسول الله»، فإن أكثر الخلق لم يفهموا هاتين الشهادتين كما ينبغي، ولذلك دعوا مع الله، وابتعدوا عنه، إن هاتين الشهادتين هما أصل الدين، وأساس الملة، وقاعدة الإسلام التي عليها

مداره»[١].

وقال أيضاً: «المسلمون اليوم، بل العالم كله، في أشد الحاجة إلىٰ بيان دين الله، وإظهار محاسنه، وبيان حقيقته، والله لو عرفه الناس اليوم ولو عرفه العالم علىٰ حقيقته، لدخلوا فيه أفواجاً اليوم، كما دخلوا فيه أفواجاً بعد ما فتح الله علىٰ نبيه مكة عليه الصلاة والسلام»[٢].

ولما رأىٰ علماء هذه الأمة ما وقع فيه المسلمون من الخلل في العقيدة، انتهضوا لبيان الحق من الباطل، وحذروا مما حذر منه نبيهم ﷺ، ودعوا الناس إلىٰ العودة إلىٰ ما أراد ﷺ أن يكونوا عليه.

فكلما رأوا شيئا من ذلك الخلل تجردوا لمحاربته، فكان منهم الإمام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ الذي قام بما أوجب الله عليه القيام به من الدعوة إلىٰ الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث رأىٰ في أهل عصره ما يندىٰ له الجبين، ويدمي له القلب، فدعا الناس إلىٰ توحيد الله، وحذرهم من الوقوع في ما يفسد التوحيد وينقض الإسلام.

فصنف ـ محذراً من الوقوع في ذلك ـ نواقض الإسلام، والتي نحن بصدد شرحها وبيانها، وذلك بالرجوع إلىٰ كتب علماء الإسلام الأجلاء وجمع أقوالهم، وإعدادها لعامة الأمة، ليدركوا خطرها، ويحذروا من الوقوع في شيء منها، ويدعوا قومهم بالاتصاف بضدها.

---

(١) مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة ٢/ ٣٣٦.

(٢) المرجع السابق ٢/ ٣٣٨.

وقد استفدت كثيرا بشرح شيخنا: عبدالله بن عبدالرحمن السعد ـ حفظه الله ـ على نواقض الإسلام، حيث شرحها لنا في بيت من بيوت الله، فنقلت بعض كلامه، وأوردته في ثنايا الكتاب، وقد أذن مشكوراً بذلك، وقرأت بعد ذلك الشرح عليه، فقدم له وأملى عليّ تصحيح وتحسين الأحاديث الواردة فيه.

وبعد:

فقد بذلت جهدي في إخراج هذا الشرح، فما كان فيه من حق وصواب فمن الله وحده: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]. وما كان فيه من تقصير وخطأ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله.

فلله الحمد والشكر والمنَّة، والثناء الحسن، على فضله، وإعانته، وتوفيقه، وتيسيره ذي الجلال والإكرام، ثم أشكر كل من أسهم في إخراج هذا الشرح، سواء كان إسهاماً مباشراً أو غير مباشر، وأخص منهم الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن السعد، فلهم مني الشكر وجميل الدعاء.

والحمد لله أولاً وأخيراً.

إن تجد عيباً فسد الخللا   جل من لا عيبَ فيه وعلا

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

سعد بن محمد القحطاني
الرياض في ١٤/ ٢/ ١٤١٩هـ
ص.ب ١٠٢٤١٤
الرياض ١١٦٢٦

ترجمة مؤلف المتن

*** اسمه :**

هو الإمام محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي التميمي الحنبلي النجدي .

*** مولده :**

ولد الشيخ ـ رحمه الله ـ سنة ١١١٥ للهجرة النبوية في بلدة العيينة من بلاد نجد .

*** نشأته :**

نشأ في بيت علم وشرف ودين ، فقد كان أبوه عبدالوهاب قاضي العيينة ومفتيها ، وجده سليمان كان مفتي الديار النجدية بعامة .

فنشأ في هذه البيئة العلمية وتأثر بها تأثراً كبيراً ، فقرأ القرآن وحفظه وأتقنه قبل بلوغ العشر ، ثم اشتغل بطلب العلم ، قال عنه أخوه الشيخ سليمان بن عبدالوهاب : كان أبوه يتعجب من فهمه ويعترف بالاستفادة منه ، مع صغر سنه .

*** رحلاته في طلب العلم :**

لما بلغ الشيخ ـ رحمه الله ـ سن الرشد ، قدمه والده في إمامة الصلاة ، فأخذ رحمه الله يؤم الناس ويصلي بهم ، ثم طلب من

والده الحج، فأجابه إلى ذلك، وبعد فراغه من الحج والاعتمار، قصد المدينة النبوية، ثم رجع إلى وطنه العيينة، ثم بعد ذلك سافر إلى الحجاز في طلب العلم، وأخذ يتردد على علماء مكة المشرفة والمدينة النبوية، وأقام بهما مدة، ثم رحل الشيخ - رحمه الله - لطلب العلم إلى العراق، فقصد البصرة واجتمع بعلمائها، وأخذ عنهم ما شاء الله من العلم، وأظهر الدعوة هناك إلى توحيد الله، ودعا الناس إلى الله وأظهر للناس أن الواجب على جميع المسلمين أن يأخذوا دينهم عن كتاب الله وسنه رسول الله ﷺ، وناقش وذاكر في ذلك. ثم خرج من البصرة إلى الزبير، وتوجه من الزبير إلى الإحساء، واجتمع بعلمائها وذاكرهم في أشياء من أصول الدين، ثم توجه إلى بلاد حريملا سنة ١١٤٠ للهجرة النبوية، وبعد ذلك ارتحل إلى العيينة عام ١١٥٣ للهجرة النبوية، ثم استقر بالدرعية، وذلك عام ١١٥٨ للهجرة النبوية.

*** مؤلفاته:**

ألف الشيخ - رحمه الله تعالى - مؤلفات كثيرة مفيدة منها:

١) كتاب التوحيد.

٢) كشف الشبهات.

٣) الأصول الثلاثة.

٤) مفيد المستفيد بكفر تارك التوحيد.

٥) نواقض الإسلام.

٦) مسائل الجاهلية.

٧) مختصر زاد المعاد.

٨) رسالة في الرد على الرافضة، وغيرها كثير جداً.

*** وفاته:**

توفي الشيخ - رحمه الله - في عام ١٢٠٦ للهجرة النبوية، بعد عمر يقارب ٩١ سنة، عمره بالدعوة والجهاد والعلم والتعليم، فرحمه الله ورضي عنه، وأسكنه الفردوس الأعلى[١].

(١) انظر: علماء الدعوة، عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ ص ٦ - ١٧، والإمام محمد بن عبدالوهاب دعوته وسيرته، لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ص١٢-٣٩.



متن نواقض الإسلام

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ :

نواقض الإسلام عشرة :

الأول : الشرك في عبادة الله ، قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]. وقال تعالى : ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]. ومن ذلك دعاء الأموات، والاستغاثة بهم ، والنذر والذبح لهم .

الثاني : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعاً .

الثالث : من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر .

الرابع : من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه ، فهو كافر .

الخامس : من أبغض شيئا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به فقد كفر ، لقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ . لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

السابع: السحر ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾[البقرة: ١٠٢].

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

ولا فرق في جميع هذه النواقض، بين الهازل والجاد، والخائف، إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطراً، ومن أكثر ما يكون وقوعها، فينبغي للمسلم أن يحذرها، يخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه، وصلى الله على محمد(١).

---

(١) انظر الدرر السنية في الأجوبة النجدية جمع ابن قاسم ١٠/ ٩١، وانظر العقيدة الصحيحة وما يضادها، عبدالعزيز بن باز ص ٢٧.

* شرح العنوان: نواقض الإسلام:

نواقض: جمع ناقض أي مفاسد.

الإسلام: دين الله الذي لا يقبل غيره، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]..

وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله[١].

* الفرق بين الإسلام والإيمان:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «اعلم أن الإيمان والإسلام يجتمع فيهما الدين كله.. فإذا ذكر الإيمان مع الإسلام، جعل الإسلام هو الأعمال الظاهرة: الشهادتان والصلاة والزكاة والحج، وجعل الإيمان ما في القلب من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر.

وإذا ذكر اسم الإيمان مجردا دخل فيه الإسلام»[٢].

---

(١) الأصول الثلاثة، للشيخ محمد بن عبدالوهاب ص ٨.

(٢) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (٧/ ٥ـ١٤).

* نواقض الإسلام:

هي اعتقادات أو أقوال أو أفعال تزيل الإيمان وتفسده.

«فنواقض الإسلام وهي الموجبة للردة تسمى نواقض، والناقض يكون قولاً، ويكون عملاً، ويكون اعتقاداً، ويكون شكاً.

فقد يرتد الإنسان بقول يقوله، أو بعمل يعمله، أو باعتقاد يعتقده، أو بشك يطرؤ عليه، وهذه الأمور الأربعة كلها يأتي منها الناقض الذي يقدح في العقيدة ويبطلها»[(١)].

---

(١) القوادح في العقيدة للشيخ عبدالعزيز بن باز ص ٢٧.

* الناقض الأول:

الشرك في عباده الله: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]. **ومن ذلك دعاء الأموات والاستغاثة بهم والنذر والذبح لهم.**

* تعريف الشرك:

الشرك لغة: يقال شاركت فلاناً صرت شريكه، والشرك يكون بمعنى الشريك وبمعنى النصيب وجمعه أشراك، وشركه في الأمر يشركه دخل معه فيه، وأشركه معه فيه وأشرك فلانا في البيع إذا أدخله مع نفسه فيه[1].

واصطلاحاً: جعل شريك لله في ألوهيته أو ربوبيته أو أسمائه وصفاته.

ولا ريب أن الشرك أصل كل شر وجماعه، وهو أعظم الذنوب على الإطلاق، حيث إنه الذنب الوحيد الذي نفى الله مغفرته، كما أنه يحبط الأعمال الصالحة جميعاً، ويوجب لصاحبه الخلود في النار.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

---

(١) انظر تهذيب اللغة ١٠/ ١٦، لسان العرب ١٠/ ٤٤٨، تاج العروس ٧/ ١٤٨.

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار»(١).

يقول ابن القيم في بيان شناعة الشرك وقبحه:

«أخبر سبحانه أنه أرسل رسله وأنزل كتبه، ليقوم الناس بالقسط وهو العدل، ومن أعظم القسط التوحيد، وهو رأس العدل وقوامه، وإن الشرك ظلم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، فالشرك أظلم الظلم، والتوحيد أعدل العدل، فما كان أشد منافاة لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر، وتفاوتها في درجاتها بحسب منافاتها له، وما كان أشد موافقة لهذا المقصود فهو أوجب الواجبات وأفرض الطاعات، فتأمل هذا الأصل حق التأمل، واعتبر بتفاصيله، تعرف به أحكم الحاكمين، وأعلم العالمين فيما فرضه على عباده، وحرمه عليهم، وتفاوت مراتب الطاعات والمعاصي.

فلما كان الشرك بالله منافياً بالذات لهذا المقصود، كان أكبر الكبائر على الإطلاق، وحرم الله الجنة على كل مشرك، وأباح دمه وماله وأهله لأهل التوحيد، وأن يتخذوهم عبيداً لهم، لما تركوا القيام بعبوديته، وأبى الله سبحانه وتعالى أن يقبل من مشرك عملاً أو يقبل فيه شفاعة، أو يستجيب له في الآخرة دعوة، أو يقبل له فيها رجاء، فإن المشرك أجهل الجاهلين بالله، حيث جعل له من خلقه نداً، وذلك غاية الجهل به»(٢).

(١) رواه مسلم في الإيمان ١/ ٩٤.
(٢) الجواب الكافي، لابن القيم، ص١٩١.

وقال ابن باز في بيانه :

«الشرك هو تشريك غير الله مع الله في العبادة، كأن يدعو الأصنام أو غيرها، أو يستغيث بها أو ينذر لها، أو يصلي لها أو يصوم لها أو يذبح لها، ومثل أن يذبح للبدوي أو للعيدروس أو يصلي لفلان أو يطلب المدد من الرسول ﷺ أو من عبدالقادر أو من العيدروس أو غيرهم من الأموات الغائبين، فهذا كله يسمى شركاً، وهكذا إذا دعا الكواكب أو الجن أو استغاث بهم أو طلبهم المدد أو ما أشبه ذلك، فإذا فعل شيئاً من هذه العبادات مع الجمادات أو مع الأموات أو الغائبين صار هذا شركاً بالله عز وجل، قال الله جل وعلا : ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]. وقال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]. ومن الشرك أن يعبد غير الله عبادة كاملة، فإنه يسمى شركاً ويسمى كفراً، فمن أعرض عن الله بالكلية وجعل عبادته لغير الله كالأشجار أو الأحجار أو الأصنام أو الجن، أو بعض الأموات من الذين يسمونهم بالأولياء، يعبدهم أو يصلي لهم أو يصوم لهم وينسى الله بالكلية، فهذا أعظم كفراً وأشد شركاً، وهكذا من ينكر وجود الله، ويقول : ليس هناك إله والحياة مادة كالشيوعين والملاحدة المنكرين لوجود الله، هؤلاء أكفر الناس وأضلهم وأعظمهم شركاً.

والمقصود أن أهل هذه الاعتقادات وأشباهها كلها تسمى شركاً وتسمى كفراً بالله عز وجل»[1].

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبدالعزيز بن باز ٤/ ٣٢.

*** أقسام الشرك بالله :**

دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الإشرك بالله ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : الشرك الأكبر وهو ثلاثة أنواع :

النوع الأول : في الربوبية ويكون الشرك في الربوبية في ثلاث أمور :

الأول : شرك في الاعتقاد :

كاعتقاد أن هناك من يخلق أو يحيي أو يميت أو يملك أو يتصرف في هذا الكون أحد مع الله ، لأنها من أفعال الله التي يختص بها فلا تجعل لغيره .

الثاني : شرك في الأعمال :

كتعليق التمائم ولبس الحلقة ونحوها ، واعتقاد أنها بذاتها محصلة للمقصود .

قال ابن عثيمين : «إن اعتقد لابسها أنها مؤثرة بنفسها دون الله فهو مشرك شركاً أكبر في توحيد الربوبية ؛ لأنه اعتقد أن مع الله خالقاً غيره»[1] .

الثالث : شرك في الأقوال :

كالقول بقدم العالم لما فيه من تعطيل الرب سبحانه وتعالى ، وإنكار للخالق عزوجل ، وكالقول بوحدة الوجود ، وهم الذين يزعمون أن الله تعالى هو عين المخلوق .

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد ، لابن عثيمين ١/ ٢٠٧ .

ومن هذا الشرك شرك القدرية القائلين بأن الإنسان هو الذي يخلق أفعال نفسه، وأنها تحدث بدون مشيئة الله وقدرته وإرادته[١].

النوع الثاني: في الألوهية، ويكون في ثلاثة أمور:

الأول: شرك في الاعتقاد:

كاعتقاد أن هناك من يطاع طاعة مطلقة مع الله، فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعاً لهم، مع العلم بأنهم خالفوا دين الرسل، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم[٢].

ومنه الشرك بالله في المحبة والتعظيم، بأن يحب مخلوقاً كما يحب الله، فهذا من الشرك الذي لا يغفره الله، وهو الشرك الذي قال سبحانه فيه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. وقال أصحاب هذا الشرك لآلهتهم وقد جمعتهم الجحيم: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨]، ومعلوم أنهم ما سووهم به سبحانه في الخلق، والرزق، والإماته، والإحياء، والملك، والقدرة، وإنما سووهم به في الحب والتأليه والخضوع لهم والتذلل[٣].

الثاني: شرك في الأعمال:

كأن يصلي لغير الله أو يسجد أو يركع لغير الله.

(١) انظر نواقض الإيمان القولية والعملية، د. عبدالعزيز العبد اللطيف، ص٩٦.

(٢) انظر مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٧/ ٧٠.

(٣) الجواب الكافي، لابن القيم ص ١٩٥.

يقول ابن تيمية في هذا المقام: «وبالجملة فالقيام والركوع والسجود حق للواحد المعبود خالق السموات والأرض، وما كان حقاً خالصاً لله لم يكن لغيره منه نصيب»(١).

فمن جعل شيئا من العبادة لمخلوق كائناً من كان، فقد أشرك بالله تعالىٰ في عبادته، واتخذ مع الله أنداداً.

الثالث: شرك في الأقوال:

فمن دعا أو استغاث أو استعان أو استعاذ بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله عزوجل، فقد أشرك، سواء كان هذا الغير نبياً أو ولياً أو ملكاً أو جنياً، أو غير ذلك من المخلوقات.

ويبين ابن القيم شناعة هذا الشرك: «ومن أنواعه (الشرك الأكبر)، طلب الحوائج من الموتىٰ، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعا، فضلاً عمن استغاث به، وسأله قضاء حاجته، أو سأله أن يشفع له إلىٰ الله فيها، وهذا من جهله بالشافع، والمشفوع له عنده»(٢).

النوع الثالث: في الأسماء والصفات. ويكون في ثلاثة أمور:

الأول: شرك في الاعتقاد:

كاعتقاد أن هناك من يعلم الغيب مع الله، وهذا يكثر لدىٰ بعض الفرق المنحرفة، كالرافضة وغلاة الصوفية والباطنية عموماً. حيث

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ٢٧/ ٩٣.

(٢) مدارج السالكين، لابن القيم ١/ ٣٥٣.

يعتقد الرافضة في أئمتهم أنهم يعلمون الغيب، وكذلك يعتقد الباطنية والصوفية في أوليائهم نحو ذلك.

وكاعتقاد أن هناك من يرحم الرحمة التى تليق بالله عزوجل، فيرحم مثله، وذلك بأن يغفر الذنوب ويعفو عن عباده ويتجاوز عن السيئات.

الثاني: شرك في الأعمال:

كأن يتعاظم على الخلق مضاهاة بالله، وتشبهاً بصفاته، التى منها صفة العظيم.

يقول ابن القيم: «فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس إلى إطرائه في المدح والتعظيم والخضوع والرجاء، وتعليق القلب به خوفاً ورجاء والتجاء واستعانة، فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته وإلهيته»[١].

الثالث: شرك في الأقوال:

كأن يطلق اسم الرحمن أو الأحد أو الصمد على غير الله، أو يسمي الأصنام بها، أو اتخاذ شريك أو ند مع الله تعالى في صفاته أو الإلحاد في أسمائه، وذلك بالعدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها.

يقول ابن القيم: «القول على الله بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله ووصفه بضد ما وصف به نفسه ووصفه به رسول الله ﷺ، أشد

---

(١) الجواب الكافي، ص٢٠٢.

شيء منافاة ومناقضة لكمال من له الخلق والأمر، وقدح في نفس الربوبية وخصائص الرب، فإن صدر ذلك عن علم فهو عناد أقبح من الشرك وأعظم إثماً عند الله»[١].

القسم الثاني: الشرك الأصغر، وهو قسمان:

القسم الأول: شرك أصغر ظاهر وهو ثلاثة أنواع:

النوع الأول: في الربوبية، ويكون في ثلاثة أمور:

الأول: شرك في الاعتقاد:

كأن يعتقد في شيء أنه سبب وهو ليس سبباً في دفع الضر أو جلب النفع.

قال ابن عثيمين: «من اعتقد في شيء أنه سبب، ولكنه ليس مؤثراً بنفسه، فهو مشرك شركاً أصغر، لأنه لما اعتقد أن ماليس بسبب سبباً، فقد شارك الله تعالى في الحكم لهذا الشيء بأنه سبب، والله تعالى لم يجعله سبباً»[٢].

الثاني: شرك في الأعمال:

كمن يعلق التمائم أو يلبس حلقة أو خيطاً ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه؛ لأن كل من أثبت لله سبباً لم يجعله الله سبباً شرعاً ولا قدرياً، فقد أشرك بالله.

---

(١) المرجع السابق ص ٢١١.

(٢) القول المفيد ١/ ٢٠٨.

الثالث: شرك في الأقوال:

كأن ينسب المطر إلىٰ النجوم مع اعتقاد أن الفاعل هو الله عزوجل، كأن يقال: إذا سقط النجم الفلاني جاء المطر، وإذا طلع النجم الفلاني جاء المطر، فينسبون ذلك للنجم نسبة سبب، والله لم يجعل ذلك سبباً.

النوع الثاني: في الألوهية، ويكون في ثلاثة أمور:

الأول: شرك في الاعتقاد:

كأن يعتقد في شيء البركة والله لم يجعل فيه البركة، لأن طلب البركة لا تكون الا بأمر شرعي معلوم، مثل القرآن، فمن بركته أن الحرف الواحد بعشر حسنات. وإما بأمر حسي معلوم كالعلم، فمن بركته نيل الخير الكثير منه والثواب.

فعلم من هذا أن التبرك عبادة لأن الإنسان لا يفعله إلا لأجل الحصول علىٰ الأجر والثواب، والخير من الله، والعبادة مبناها علىٰ التوقيف والاتباع[1].

الثاني: شرك في الأعمال:

كأن يتمسح بيده بشيء لم يجعل الله فيه البركة، وكتقبيل أبواب المساجد، والتمسح بأعتابها، والاستشفاء بتربتها، ومثل ذلك التمسح

(١) البركة من الله تعالىٰ، ويختص بعض خلقه بما يشاء منها، فلا تثبت في شيء إلا بدليل، وهي تعني كثرة الخير وزيادته، أو ثبوته ولزومه.
وهي في الزمان: كليلة القدر، وفي المكان: كالمساجد الثلاثة، وفي الأشياء: كماء زمزم، وفي الأعمال: فكل عمل صالح مبارك، وفي الأشخاص: كذوات الأنبياء، ولا يجوز التبرك بالأشخاص ـ لا بذواتهم ولا آثارهم ـ إلا بذات النبي ﷺ، وما انفصل من بدنه من ريق وعرق وشعر، إذ لم يرد الدليل إلا بهما، وقد انقطع ذلك بموته ﷺ، وذهاب ما ذكر.
(مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة، ناصر العقل ص ١٧).

بجدران الكعبة أو مقام إبراهيم.

ومن ذلك الذهاب إلى القبور لا لقصد الزيارة، وإنما لقصد الدعاء عندها لأجل بركتها، واعتقاد أن الدعاء عندها أفضل[١].

قال ابن تيمية: «فأما إذا قصد الرجل الصلاة عند بعض قبور الأنبياء، أو بعض الصالحين تبركاً بالصلاة في تلك البقعة، فهذا عين المحادة لله ورسوله، والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن به الله»[٢].

الثالث: شرك في الأقوال:

كالحلف بغير الله سواء بالكعبة، أو الرسول ﷺ، أو السماء أو الحياة أو الشرف أو غير ذلك، لأن الحلف لا يكون إلا بالله أو صفاته، ولا يجوز الحلف بغيره.

وإن اعتقد أن المحلوف به بمنزلة الله في العظمة فهو شرك أكبر، وإلا فهو شرك أصغر.

النوع الثالث: في الأسماء والصفات، ويكون في ثلاثة أمور:

الأول: شرك في الاعتقاد:

كالاعتماد على الأسباب الظاهرة التي لم يثبت كونها سبباً لا شرعاً ولا حساً، فإثباتها نوع مشاركة لله في الحكم على هذا الشيء بأنه سبب.

الثاني: شرك في الأعمال:

كلبس التولة والقلائد التي يقال إنها تمنع العين وما أشبه ذلك،

---

(١) انظر التبرك المشروع والتبرك الممنوع. د. علي العلياني.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ١/ ٣٣٤.

فإضافتها إلىٰ السبب الظاهر الذي لم يثبت كونه سبباً لا شرعاً ولا حساً نوع من الشرك الأصغر، لأنه أثبت سبباً لم يجعله الله سبباً، فكان مشاركا لله في إثبات الأسباب(١).

الثالث: شرك في الأقوال:

كقول: ما شاء الله وشئت، لأنه شرك غير الله مع الله بالواو.

قال ابن عثيمين: «فإن اعتقد أنه يساوي الله عزوجل في التدبير والمشيئة فهو شرك أكبر، وإن لم يعتقد ذلك واعتقد أن الله سبحانه وتعالىٰ فوق كل شيء فهو شرك أصغر»(٢).

قال ابن القيم: «ومن الشرك به سبحانه الشرك به في اللفظ، كقول القائل للمخلوق: ما شاء الله وشئت، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له رجل: «ماشاء الله وشئت. فقال: أجعلتني لله نداً، قل ما شاء الله وحده»(٣)، وهذا مع أن الله قد أثبت للعبد مشيئة كقوله: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨]، فكيف من يقول: أنا متوكل علىٰ الله وعليك، وأنا من حسب الله وحسبك، وما لي إلا الله وأنت، وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض، ويقول: والله وحياة فلان، أو يقول: نذراً لله ولفلان، وأنا تائب لله ولفلان، أو أرجو الله وفلانا، ونحو ذلك؟

---

(١) انظر القول المفيد ٢/ ٣٧٨.

(٢) المرجع السابق ٢/ ٣٨٩.

(٣) رواه أحمد ١/ ٢١٤، ورواه البخاري في الأدب المفرد ٧٨٣، وإسناده حسن

فوازن بين هذه الألفاظ وبين قول القائل: ما شاء الله وشئت، ثم انظر أيهما أفحش؟ يتبين لك أن قائلها أولى بجواب النبي ﷺ لقائل تلك الكلمة. وأنه إذا كان قد جعله نداً لله بها، فهذا قد جعل من لا يداني رسول الله ﷺ في شيء من الأشياء، بل لعله أن يكون من أعدائه، نداً لرب العالمين»[١].

القسم الثاني: شرك أصغر خفي، وهو على نوعين:

النوع الأول: ما يكون رياء:

والرياء قسمان:

١) **شرك أكبر**: وهو رياء المنافقين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ١٤٢].

٢) **شرك أصغر**: كأن يعمل العبادة يريد من الناس أن يمدحوه عليها فيكون قصده بالعبادة غير الله، وفي الحديث: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فسئل عنه؟ فقال: الرياء»[٢].

*** أما حكم العبادة إذا خالطها الرياء فهو على قسمين:**

الأول: أن يكون في أصل العبادة، أي: ما قام يتعبد إلا للرياء، فهذا عمله باطل مردود عليه.

---

(١) الجواب الكافي ص ١٩٩.

(٢) رواه أحمد ٥/ ٤٢٨ و إسناده صحيح.

الثاني : أن يكون الرياء طارئا على العبادة، أي أصل العبادة لله لكن طرأ عليها الرياء فهذا ينقسم إلى قسمين :

١ـ أن يدافعه، فهذا لا يضره .

٢ـ أن يسترسل معه، فهو باطل، ولكن هل هذا البطلان يمتد إلى جميع العبادة أم لا؟ لا يخلو هذا من حالين :

ـ **الأول:** أن يكون آخر العبادة مبنياً على أولها بحيث لا يصح أولها مع فساد آخرها فهذه كلها فاسدة .

ـ **الثاني :** أن يكون أول العبادة منفصلاً عن آخرها بحيث يصح أولها دون آخرها، فما سبق الرياء فهو صحيح، وما كان بعده فهو باطل[1] .

النوع الثاني : ما يكون سمعة :

كأن يعمل عملاً لله ثم يحدث الناس ويسمع بعمله، فيعمل العمل ليسمعه الناس فيكون القصد لغير الله، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : «من سَمّعَ سَمَّعَ الله به ومن يُرائ يرائ الله به»[2] .

*** أمثلة الشرك المنتشرة :**

قوله : **«ومن ذلك دعاء الأموات»** أي من الشرك أن يدعو غير الله، لأن الدعاء عبادة لا تكون إلا مع محبة وتعظيم وافتقار وتذلل، واعتقاد

---

(١) انظر القول المفيد ١/ ١٤٥ و ٢/ ٢٧٦ .

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقائق ٧/ ١٣٠ ومسلم في الزهد ٤/ ٢٢٨٩ .

أن المدعو قادر على الاستجابة(١) . ومعنى الدعاء : السؤال والطلب .

يقول ابن تيمية : «فكل من غلا في حي ، أو في رجل صالح ، وجعل فيه نوعاً من الإلهية ، مثل أن يقول : يا سيدي فلان اغفر لي ، أو ارحمني ، أو انصرني ، أو ارزقني ، أو أغثني ، أو أجرني ، أو توكلت عليك ، أو أنت حسبي ، أو أنا في حسبك أو نحو هذه الأقوال والأفعال ، التي هي من خصائص الربوبية التي لاتصلح إلا لله تعالى ، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه ، فإن تاب وإلا قتل ، فإن الله إنما أرسل الرسل ، وأنزل الكتب لنعبد الله وحده لا شريك له ، ولا نجعل مع الله إلهاً آخر»(٢) .

ويقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب : «فمن دعاء غير الله طالباً منه ما لا يقدر عليه إلا الله من جلب نفع ، أو دفع ضر ، فقد أشرك في عبادة الله ، كما قال تعالى : **﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ . وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾** [الأحقاف : ٥ ، ٦] ، وقال تعالى : **﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ . إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾** [فاطر : ١٣ ، ١٤] .

---

(١) الأدعية البدعية على مراتب ثلاث :
* إحداهما : أن يدعو غير الله وهو ميت أو غائب ، سواء كان من الأنبياء والصالحين أو غيرهم فيقول : سيدي فلان أغثني ونحو ذلك ، فهذا هو الشرك بالله .
* الثانية : أن يقال للميت أو الغائب من الأنبياء الصالحين : ادع الله لي أو ادع لنا ربك ، أو اسأل الله لنا . . فهذا أيضا لا يستريب عالم أنه غير جائز ، وأنه من البدع التي لم يفعلها من سلف الأمة .
* الثالثة : أن يقال : أسألك بفلان ، أو بجاه فلان عندك ونحو ذلك ، فهذا منهي عنه وليس بمشهور عن الصحابة بل عدلوا عنه إلى التوسل بدعاء العباس وغيره . (مجموع الفتاوى ١/ ٣٥٠) .

(٢) مجموع الفتاوي ٣/ ٣٩٥ .

فأخبر تبارك وتعالىٰ أن دعاء غير الله شرك، فمن قال: يا رسول الله، أو يا عبدالله بن عباس، أو يا عبدالقادر، أو يا محجوب ـ زاعماً أنه يقضي حاجته إلىٰ الله تعالىٰ، أو أنه شفيعه عنده أو وسيلته إليه[1] فهو الشرك الذي يهدر الدم، ويبيح المال إلا أن يتوب من ذلك»[2].

قال ابن باز: «فمن زعم أو اعتقد أنه يجوز أن يُعبد مع الله غيره من ملك أو نبيّ أو شجر أو جن أو غير ذلك فهو كافر، وإذا انطق وقال بلسانه ذلك صار كافراً بالقول والعقيدة جميعاً، وإن فعل ذلك ودعا غير الله واستغاث بغير الله صار كافراً بالقول والعمل والعقيدة جميعاً، ومما يدخل في هذا ما يفعله عباد القبور اليوم في كثير من الأمصار من دعاء الأموات والاستغاثة بهم وطلب المدد منهم، فيقول بعضهم: يا سيدي المدد المدَد، يا سيدي الغوث الغوث، أنا بجوارك اشف مريضي، ورد غائبي، وأصلح قلبي، يخاطبون الأموات الذين يسمونهم الأولياء ويسألونهم هذا السؤال، نسُوا الله وأشركوا معه غيره، فهذا كفر قولي وعقدي وفعلي.

---

(١) الوسيلة المأمور بها في القرآن هي ما يقرب إلىٰ الله تعالىٰ من الطاعات المشروعة. والتوسل ثلاثة أنواع:
أ ـ مشروع: وهو التوسل إلىٰ الله تعالىٰ، بأسمائه وصفاته، أو بعمل صالح من المتوسل، أو بدعاء الحي الصالح.
ب ـ بدعي: وهو التوسل إلىٰ الله تعالىٰ بما لم يرد في الشرع، كالتوسل بذوات الأنبياء والصالحين أو جاههم، أو حقهم، أو حرمتهم، ونحو ذلك.
ج ـ شركي: وهو اتخاذ الأموات وسائط في العبادة، ودعاؤهم وطلب الحوائج منهم والاستغاثة بهم ونحو ذلك، (مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة، ناصر العقل ص١٦)

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢/ ١٩.

وبعضهم ينادي من مكان بعيد وفي أمصار متباعدة: يا رسول الله انصرني ونحو هذا، وبعضهم يقول عند قبره: يا رسول الله اشف مريضي، يا رسول الله المدد المدد انصرنا على أعدائنا، أنت تعلم ما نحن فيه انصرنا على أعدائنا.

والرسول ﷺ لا يعلم الغيب، ولا يعلم الغيب إلا الله سبحانه، وهذا من الشرك القولي العملي[1]، وإذا اعتقد مع ذلك أن هذا جائز وأنه لا بأس به صار قولياً وفعلياً وعقدياً، نسأل الله العافية»[2].

وقال ابن عثيمين: «قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]، فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين، وبيّن أن هذا هو الشرك الأكبر لأن الدعاء من العبادة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، فدل على أن الدعاء عبادة، وإلا لكان أول الكلام مناقضاً لآخره، مع أن آخر الكلام تعليل لأوله، فكل من دعا أحداً غير الله حياً أو ميتاً، فهو مشرك شركاً أكبر.

---

(١) التخلص من هذا الشرك يكون: بالنظر إلى المعطي الأول فيشكره على ما أولاه من النعم، وينظر إلى من أسدي إليه المعروف فيكافيه عليه.
فالله سبحانه هو المعطي على الحقيقة، فإنه هو الذي خلق الأرزاق وقدرها وساقها إلى من يشاء من عباده، فالمعطي هو الذي أعطاه وحرك قلبه لعطاء غيره، فهو الأول والآخر، فمن سلك هذا المسلك العظيم استراح من عبودية الخلق ونظره إليهم، وأراح الناس من لومه وذمه إياهم وتجرد التوحيد في قلبه. (مجموع الفتاوي ١/ ٩٢، ٩٣).

(٢) القوادح في العقيدة ص ٣٥.

والدعاء ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام:

الأول: جائز، وهو أن تدعو مخلوقاً ـ حياً ـ بأمر من الأمور التىٰ يمكن أن يدركها بأشياء محسوسة معلومة، فهذا ليس من دعاء العبادة، بل هو من الأمور الجائزة.

الثاني: أن تدعو مخلوقا مطلقا سواء كان حيا أو ميتاً فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهذا شرك أكبر، لأنك جعلته نداً لله فيما لا يقدر عليه إلا الله، مثل: يا فلان اجعل ما في بطن امرأتىٰ ذكراً.

الثالث: أن تدعو مخلوقاً ميتاً لا يجيب بالوسائل الحسية المعلومة، فهذا شرك أكبر أيضاً، لأنه لايدعو من كان هذه حاله حتىٰ يعتقد أن له تصرفاً خفياً في الكون[1].

* قوله: «**والاستغاثة بهم**»، أي من الشرك أن يستغاث بغير الله، والاستغاثة: طلب العون من جلب خير أو دفع شر، وهي نوع من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله[2].

---

(١) القول المفيد ١/ ١٩٧، ١٩٨.

(٢) أقسام الناس في العبادة والاستعانة أربعة:

* **القسم الأول:** أن يعبد غير الله ويستغيثه ـ وإن كان مسلماً ـ فالشرك في هذه الأمة أخفىٰ من دبيب النمل.

* **القسم الثاني:** أن يعبده ويستعين بغيره مثل كثير من أهل الدين يقصدون طاعة الله ورسوله وعبادته وحده لا شريك له، وتخضع قلوبهم لمن يستشعرون نصرهم ورزقهم وهدايتهم، من جهته: من الملوك والأغنياء والمشايخ.

* **القسم الثالث:** أن يستعينه ـ وإن عبد غيره ـ مثل كثير من ذوي الأحوال وذوي القدرة وذوي السلطان الباطن أو الظاهر، وأهل الكشف والتأثير الذين يستعينون ويعتمدون عليه ويسألونه ويلجأون إليه، ولكن مقصدهم غير ما أمر الله به ورسوله، وغير اتباع دينه وشريعته التي بعث الله بها رسوله.

* **القسم الرابع:** الذين لا يعبدون إلا إياه، ولا يستعينون إلا به. (مجموع الفتاوىٰ ١/ ٣٦).

ويُقيد ذلك فيما لا يقدر عليه المستغاث به إما لكونه ميتاً، أو لكونه غائباً، أو لكون الأمر مما لا يقدر عليه إلا الله.

يقول ابن تيمية: «فإنا بعد معرفة ما جاء به الرسول نعلم بالضرورة أنه لم يشرع لأمته أن تدعو أحدا من الأموات ولا الأنبياء، ولا الصالحين، ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، ولا بلفظ الاستعاذة ولا بغيرها، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت، ولا لغير ميت ونحو ذلك، بل نعلم أنه نهىٰ عن كل هذه الأمور، وإن ذلك من الشرك الذي حرمه الله تعالىٰ ورسوله، ولكن لغلبة الجهل، وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين، لم يكن تكفيرهم بذلك حتىٰ يتبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ مما يخالفه، ولهذا ما بُينت هذه المسألة قط لمن يعرف أصل الإسلام إلا تفطن وقال: هذا أصل دين الإسلام»[١].

ويقول أيضاً:

«ولا يجوز لأحد أن يستغيث بأحد من المشايخ الغائبين، ولا الميتين، مثل أن يقول: يا سيدي فلانا أغثني، وانصرني، وادفع عني، أو أنا في حسبك، ونحو ذلك، بل كل هذا من الشرك الذي حرم الله ورسوله، وتحريمه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام، وهؤلاء المستغيثون بالغائبين والميتين عند قبورهم وغير قبورهم، لما كان من جنس عباد الأوثان، صار الشيطان يضلهم ويغويهم، كما يضل عباد

---

(١) الرد علىٰ البكري، لابن تيمية، ص ٣٨٧.

الأوثان ويغويهم[١]، فتتصور الشياطين في صور ذلك المستغاث به، وتخاطبهم بأشياء على سبيل المكاشفة، كما تخاطب الشياطين الكهان، وبعض ذلك صدق، لكن لابد أن يكون في ذلك ماهو كذب، بل الكذب أغلب من الصدق، وقد تقضي الشياطين بعض حاجاتهم، وتدفع عنهم بعض مايكرهونه، فيظن أحدهم أن الشيخ هو الذي جاء من الغيب حتى فعل ذلك، أو يظن أن الله تعالى صور ملكا على صورته فعل ذلك، ويقول أحدهم: هذا سر الشيخ وحاله، وإنما هو الشيطان تمثل على صورته ليضل المشرك به المستغيث به، كما تدخل الشياطين في الأصنام وتكلم عابديها وتقضي بعض حوائجهم، كما كان ذلك في أصنام مشركي العرب»[٢].

* قوله: **«والنذر لهم»**.

أي من أنواع الشرك النذر لغير الله؛ لأن النذر عبادة لا تكون إلا لله

---

(١) من أكبر المصائب التي دهت المسلمين في عصورهم المتأخرة تساهل فريق منهم في بناء المساجد والقباب على القبور، ثم إصرارهم على هذه البلية، وهم الآن يستزيدون منها رغم نصح الناصحين، وتبصير المستبصرين لهم، وأنت ترى توافر النصوص وثبوتها في التحذير والنهي عن ذلك، بل إن الرسول ﷺ ما اهتم بشيء في مرض موته كاهتمامه بهذا الأمر الخطير أن تقع فيه أمته، ومع هذا لا نزال نرى لهذه البدعة قبولا وانتشارا، ونسمع لها أئمة ودعاة ومنافحين، ولم يقتصر الأمر على مجرد البناء على القبور، بل لقد اتخذت هذه القبور مزارات ومعابد وقبلات، يطاف بها ويُدعى فيها المخلوقون من دون الخالق، فنسأل الله أن يطهر بلاد المسلمين وقلوب من ابتلي منهم من هذا الرجس.

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٣٥٩.

وحده لا شريك له، حيث إن الله تعالى مدح الموفين به، فقال سبحانه: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ في بيان هذه الآية:

«إن الله مدح الموفين بالنذر، والله تعالى لا يمدح إلا على فعل واجب أو مستحب، أو ترك محرم، لا يمدح على فعل المباح المجرد، وذلك هو العبادة، فمن فعل ذلك لغير الله متقربا إليه فقد أشرك»[(١)].

ويقول ابن عثيمين عن هذه الآية: «إن الله تعالى أثنى عليهم بذلك، وجعله من الأسباب التي بها يدخلون الجنة، ولا يكون سبباً يدخلون به الجنة إلا وهو عبادة، فيقتضي أن صرفه لغير الله شرك»[(٢)].

والنذر لغير الله مثل أن يقول: لفلان عليّ نذر، أو لهذا القبر عليّ نذر، أو لجبريل عليّ نذر، يريد بذلك التقرب إليهم وما أشبه ذلك.

وهذا النذر لغير الله لا ينعقد إطلاقاً، ولا تجب فيه كفارة، بل هو شرك تجب التوبة منه[(٣)].

* قوله: **«والذبح لهم»**: أي من الشرك الذبح لغير الله تعظيما له وتقرباً إليه؛ لان الذبح إن قصد به التوجه والتقرب إلى الله تعالى وحده

(١) تيسير العزيز الحميد ص٢٠٣.

(٢) القول المفيد ١/ ٣١٧.

(٣) انظر المرجع السابق ١/ ٣١٦.

فهو من العبادات.

قال ابن عثيمين: «الذبح لغير الله شرك أكبر؛ لأن الذبح عبادة كما أمر الله به في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، فإذا ذبح الإنسان شيئا لغير الله تعظيما له، وتذللاً، وتقرباً إليه كما يتقرب بذلك ويعظم ربه عز وجل كان مشركاً بالله، سواء ذبح ذلك لملك من الملائكة، أو لرسول من الرسل، أو لنبي من الأنبياء، أو لخليفة من الخلفاء، أو لولي من الأولياء، أو لعالم من العلماء، أو لقبور الذين يزعمون بأنهم أولياء، كل ذلك شرك بالله عزوجل ومخرج من الملة»[1].

---

(١) انظر مجموعة فتاوىٰ ورسائل الشيخ ابن عثيمين ٢/ ١٤٨، ١٤٩.

* **الناقض الثاني:**

من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم، فقد كفر إجماعاً.

هذا الناقض داخل في الناقض الأول، لأنه من الشرك، والمؤلف ـ رحمه الله ـ أفرده لأهميته ولكثرة وقوعه بين الناس.

* قوله: «**من جعل بينه وبين الله وسائط**».

الوسائط تنقسم إلىٰ قسمين:

القسم الأول: بمعنىٰ تبليغ الرسالة، وهي أن تجعل بينك وبين الله واسطة في تبليغ الرسالة، وهم الرسل والأنبياء واسطة بين الناس والرب.

وهذا الأمر حق دل عليه الكتاب والسنة، وذلك لأننا لا نعرف ما جاء عن الله إلا بواسطة الرسل، قال تعالىٰ: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، فهؤلاء الذين اصطفى الله هم واسطة بيننا وبين الله في تبليغ الرسالة.

قال ابن تيمية: «مما أجمع عليه جميع أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارىٰ، إثبات الوسائط بين الله وبين عباده، وهم الرسل الذين بلغوا عن الله أمره وخبره، قال تعالىٰ: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، ومن أنكر هذه الوسائط فهو كافر بإجماع أهل الملل»[1].

(١) مجموع الفتاوىٰ ١/ ١٢٢ بتصرف.

القسم الثاني : بمعنى الطلب والمعاونة والاعاذة والاستجادة وطلب الغوث، والتوكل وطلب الشفاعة، وهي خمسة أنواع :

الأول: واجب : كالتوكل على الله والاعتماد عليه وسؤاله العون والقوة، وهذا أمر واجب ولابد منه، وعلى قدر عبودية الشخص لله يكون محققاً لهذا الأمر .

الثاني : مستحب : ككثرة اللجوء إلى الله وتعليق الأمور بيده، والالتفات بالقلب اليه وعدم الالتفات إلى غيره .

الثالث: جائز : كسؤال المخلوقين والطلب من المخلوقين وجعلهم وسائط بينهم وبين الرب، وهذا جائز بثلاثة شروط :

١ـ أن يكون المطلوب منه الشفاعة حاضراً .

٢ـ أن يكون قادراً فيما طلب منه .

٣ـ أن يكون ذلك في حياته .

وذلك كما جاء في حديث الشفاعة الطويل الذي في الصحيح أن الناس يأتون إلى الرسل عندما يؤخر الرب عز وجل الحساب، فيأتون الرسل ويطلبون منهم الشفاعة لهم عند ربهم سبحانه وتعالى .

ولا شك أن في هذا جعل الأنبياء والرسل واسطة بينهم وبين الرب، وهذا أمر في وسعهم وبمقدورهم .

الرابع : مكروه : ككثرة سؤال الناس فيما هم قادرون عليه، وفيما

هو في وسعهم أن يحققوه، فسؤالهم فيما هو في وسعهم مشروع وجائز ولكن الإكثار منه يكون مكروهاً، فالأولىٰ أن يتركه الإنسان تحقيقاً للتوحيد وتقديراً للعبودية للرب عزوجل، وتحقيقاً للتعلق بالله سبحانه وتعالىٰ.

قال ابن تيمية: «وأصل سؤال الخلق الحاجات الدنيوية التي لا يجب عليهم فعلها ليس واجباً علىٰ السائل ولا مستحباً، بل المأمور به سؤال الله تعالىٰ والرغبة إليه والتوكل عليه، وسؤال الخلق في الأصل محرم، لكنه أبيح للضرورة، وتركه توكلا علىٰ الله أفضل، قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ . وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٧، ٨]، أي ارغب إلىٰ الله لا إلىٰ غيره»[1].

الخامس: المحرم: كأن يجعل العبد له واسطة بينه وبين الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو فيما لا يشرع ولا يجوز للعبد أن يجعله واسطة، كطلب الرحمة والمغفرة ودخول الجنة وطلب الشفاء والرزق من غير الله، فهذا من الشرك الأكبر، وكطلب الشفاعة من الأموات وهذا أمر لا يشرع ولا يجوز وهو من الشرك الأكبر، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ . وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦]، وقال تعالىٰ: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ

(١) مجموع الفتاوىٰ ١/ ١٨١.

كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾ [الرعد: ١٤]، **وهذا النوع هو مقصود المؤلف.**

يقول ابن تيمية: «فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم، ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنوب، وهداية القلوب، وتفريج الكروب، وسد الفاقات، فهو كافر بإجماع المسلمين»[١].

ويقول أيضاً مجادلاً من جعل بينه وبين الله وسائط فيما لم يشرعه:

«وإن أثبتم وسائط بين الله وبين خلقه، كالحجاب الذين بين الملك ورعيته، بحيث يكونون هم يرفعون إلىٰ الله حوائج خلقه، فالله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم، فالخلق يسألونهم، وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك، يسألون الملوك الحوائج للناس، لقربهم منهم، والناس يسألونهم أدباً منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك، لكونهم أقرب إلىٰ الملك من الطالب للحوائج، فمن أثبتم وسائط علىٰ هذا الوجه فهو كافر مشرك، يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وهؤلاء مشبهون لله، شبهوا المخلوق بالخالق، وجعلوا لله أندادا»[٢].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ١/ ١٢٤.

(٢) المرجع السابق ١/ ١٢٦.

ويقول أيضاً:

«من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه، كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك، بل هذا دين المشركين عباد الأوثان، كانوا يقولون: إنها تماثيل الأنبياء والصالحين، وإنها وسائل يتقربون بها إلىٰ الله، وهو من الشرك الذي أنكره الله علىٰ النصارىٰ»(١).

*قوله: «**يدعوهم ويسألهم الشفاعة**»:

الشفاعة هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة، وهو علىٰ قسمين:

القسم الأول: الشفاعة المتعلقة بالآخرة، كطلب المغفرة والتجاوز عن الذنوب، وهي مقصود المؤلف، وهي علىٰ نوعين:

النوع الأول: الشفاعة الخاصة، وهي التي تكون للرسول ﷺ وتكون كذلك لأناس معينين يشفع لهم، وهي ثلاثة أقسام:

الأولىٰ: الشفاعة الكبرىٰ، وهي خاصة بالنبي ﷺ، وذلك عندما يؤخر الله عز وجل محاسبة العباد فيأتي الناس إلىٰ الأنبياء وكلهم يقولون: لست لها، حتىٰ تصل إلىٰ الرسول عليه الصلاة والسلام فيقوم فيشفع للناس عند ربه عز وجل(٢).

روي عن ابن عمر رضي الله عنهما: «إن الناس يصيرون يوم

---

(١) المرجع السابق ١/ ١٣٤.

(٢) رواه البخاري ٦/ ٢٧٠٨، ومسلم في كتاب الايمان ١/ ١٥٤.

القيامة جُثاً، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يافلان اشفع، حتىٰ تنتهي الشفاعة إلىٰ النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود»(١).

الثانية: الشفاعة لأهل الجنة لدخول الجنة:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمرت لا أفتح لأحد قبلك»(٢).

الثالثة: شفاعة الرسول ﷺ لعمه أبي طالب:

عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ ذُكر عنده عمه أبو طالب فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه»(٣).

النوع الثاني: الشفاعة العامة، وهي تكون للرسول ﷺ ولجميع المؤمنين.

وهي ثلاثة أقسام:

الأولىٰ: الشفاعة لأناس من أهل الإيمان قد استحقوا الجنة أن يزدادوا رفعة ودرجات في الجنة، ومثال ذلك ما ثبت عن النبي ﷺ أنه دعا لأبي سلمة فقال: «اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في

---

(١) رواه البخاري ٤/ ١٧٤٨.

(٢) رواه مسلم كتاب الإيمان ١/ ١٦٠.

(٣) رواه البخاريُ في فضائل الصحابة ٣/ ١٤٠٨، ومسلم (في كتاب الإيمان) ١/ ١٦٦.

المهديين»[١] .

الثانية: الشفاعة لأناس قد استحقوا النار في أن لا يدخلوها، وهذه قد يستدل لها بقول الرسول ﷺ: «ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئا إلا شفعهم الله فيه»[٢] . فإن هذه شفاعة قبل أن يدخل النار، فيشفعهم الله في ذلك.

الثالثة: الشفاعة لأناس قد دخلوا النار في أن يخرجوا منها.

كما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً: «فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون. فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيراً. . . فيقول الله عزوجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط»[٣][٤] .

* وشروط هذا النوع ـ النوع الثاني ـ من الشفاعة:

١ ـ رضا الله عن المشفوع له، لقول تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ

---

(١) رواه مسلم في كتاب الجنائز ٢/ ٥٢٩ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الجنائز ٢/ ٥٤٥ .

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان ١/ ١٤٦ .

(٤) انظر القول المفيد ١/ ٤٢٣ .

ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

٢ـ إذن الله للشافع أن يشفع لقوله تعالىٰ: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٣ـ رضا الله عن الشافع، لقوله تعالىٰ: ﴿إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [النجم: ٢٦].

٤ـ أن لا يكون الشافع من اللعانين، لما روىٰ مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه: «إن اللعانين لا يكونوا شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»[1].

القسم الثاني: الشفاعة المتعلقة بالدنيا، وهي التي بوسع العباد القيام بها، كطلب مال أو منفعة أو نكاح، وهي علىٰ نوعين:

الأول: جائزة، وشروطها:

١ـ أن تكون في شيء مباح، ولا تكون في شيء محرم.

كالشفاعة لأناس قد وجب عليهم الحد أن لا يقام عليهم، قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها «أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ؟ فكلم رسول الله ﷺ

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والأدب ٤/ ١٥٩١.

فقال: أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب فقال: يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»(١).

٢ـ أن لا يكون فيها تعدّ وتجاوز وظلم لأناس آخرين.

لقوله ﷺ: «اشفعوا فلتؤجروا، وليقض الله على لسان رسوله ماشاء»(٢).

الثانية: ممنوعة: عندما يتخلف الشرطان السابقان أو أحدهما.

ومقصود المؤلف ـ رحمه الله ـ أن الطلب من المخلوقين بعد وفاتهم أن يشفعوا عند الله محرم وشرك ؛ لما في ذلك من وصفهم بصفات الخالق عز وجل، لأن من صفاته عز وجل أنه هو الحي الذي لا يموت.

وأما من طلب منهم المغفرة والرحمة مباشرة بدل أن يجعلهم شفعاء، فهذا من الشرك الأكبر في الربوبية والألوهية.

* قوله **«ويتوكل عليهم»**.

التوكل: هو الاعتماد على الله سبحانه وتعالى في حصول

---

(١) رواه البخاري في الحدود ٦/ ٢٤٩١

(٢) رواه البخاري في الزكاة ٢/ ٥٢٠، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب ٤/١٦٠٨.

المطلوب ودفع المكروه مع الثقة به وفعل الأسباب المأذون فيها .

فمن جعل أكثر اعتماده على الأسباب نقص توكله على الله ، ويكون قادحاً في كفاية الله ، فكأنه جعل السبب وحده هو العمدة فيما يصبو إليه من حصول المطلوب وزوال المكروه .

ومن جعل أكثر اعتماده على الله ملغياً للأسباب فقد طعن في حكمة الله ؛ لأن الله جعل لكل شيء سبباً ، فمن اعتمد على الله اعتماداً مجرداً كان قادحاً في حكمة الله ؛ لأن الله حكيم يربط الأسباب بمسبباتها(١) .

قال ابن تيمية : «ومع علم المؤمن أن الله رب كل شيء ومليكه ، فإنه لا ينكر ما خلقه الله من الأسباب ، كما جعل المطر سبباً لإنبات النبات ، قال تعالى : ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾ [البقرة : ١٦٤]، وكما جعل الشمس والقمر سبباً لما يخلقه بهما ، وكما جعل الشفاعة والدعاء سبباً لما يقضيه بذلك ، مثل صلاة المسلمين على جنازة الميت ، فإن ذلك من الأسباب التي يرحمه الله بها ، ويثيب عليها المصلين عليه ، لكن ينبغي أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور :

أحدهما : أن السبب المعين لا يستقل بالمطلوب ، بل لابد معه من أسباب أخر ، ومع هذا فلها موانع ، فإن لم يكمل الله الأسباب ، ويدفع الموانع لم يحصل المقصود ، وهو سبحانه ما شاء كان وإن لم يشأ

(١) القول المفيد ٢/ ٢٢٨ .

الناس، وما شاء الناس لا يكون إلا أن يشاء الله.

الثاني: أن لا يجوز أن يعتقد أن الشيء سبب إلا بعلم، فمن أثبت شيئاً سبباً بلا علم أو يخالف الشرع، كان مبطلا، مثلا من يظن أن النذر سبب في دفع البلاء وحصول النعماء.

الثالث: أن الأعمال الدينية لا يجوز أن يتخذ منها شيء سبباً إلا أن تكون مشروعة، فإن العبادات مبناها على التوقيف، فلا يجوز للإنسان أن يشرك بالله، فيدعو غيره، وإن ظن أن ذلك سبب في حصول بعض أغراضه، وكذلك لا يعبد الله بالبدع، المخالفة للشريعة»[١].

---

(١) مجموع الفتاوى ١/ ١٣٧.

الناقض الثالث:

من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر.

ووجه كون هذا الناقض كفراً، أن من لم يكفر المشركين الذين كفرهم وشركهم ظاهر بيّن، فهو كافر، لأن الله تعالىٰ كفرهم في كتابه وعلىٰ لسان رسوله ﷺ، فلا يحكم بإسلام المرء حتىٰ يكفر المشركين.

وأما من صحح مذهبهم، ونافح عن منهجهم، فهذا أشد، وكفره أعظم، لأنه لم يعرف الإسلام علىٰ حقيقته، لأن معناه الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

ويدخل في قوله: «أو صحح مذهبهم» كل من استحسن شيئا ينافي دين الإسلام، من يهودية أو نصرانية أو اشتراكية أو علمانية أو غيرها من فرق الكفر والضلال[1].

والكفار المشركون في هذه المسألة صنفان:

١ـ الذين لاشك في كفرهم، وليس هناك خلاف في كفرهم، وهم من لم يكن مسلماً كاليهود والنصارىٰ، فهذا الصنف من لم يكفرهم أو شك في كفرهم فهو كافر، وهذا هو مقصود المؤلف ـ رحمه الله ـ.

يقول ابن عثيمين: «وذلك لأن اليهود والنصارىٰ كفرهم الله

(١) انظر التنبيهات المختصرة للخريصي ص ٦٧.

عزوجل في كتابه، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ . اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠، ٣١]. فدل ذلك علىٰ أنهم مشركون، وبين الله تعالىٰ في آيات أخرىٰ ما هو صريح في كفرهم فقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، وقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

فمن أنكر كفر اليهود والنصارىٰ الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وكذبوه، فقد كذب الله عزوجل، وتكذيب الله كفر، ومن شك في كفرهم فلاشك في كفره هو[١].

٢ـ الذين وقع فيهم الخلاف في الحكم عليهم هل هم مسلمون أم كفار، كتارك الصلاة تهاوناً، فهذا الصنف الذي وقع فيه الخلاف من توقف في تكفيرهم ولم يكفرهم لا نحكم بكفره.

قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ عند كلامه عن بعض المكفرات: «ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل، أو وقف فيهم، أو شك، أو صحح مذهبهم، وإن أظهر مع ذلك الإسلام، واعتقده، واعتقد إبطال كل مذهب سواه، فهو كافر بإظهار ما أظهره من خلاف ذلك»[٢].

---

(١) فتاوىٰ وأحكام الداخلين في الإسلام ص ٤٢.

(٢) الشفا ٢/ ١٠٧١.

وذكر شيخ الإسلام حكم من لم يكفر المشرك الكافر سواء كان كافراً أصلياً كاليهود والنصارىٰ، أو من ثبت كفره يقيناً كالباطنية، فقال عنهم: «من شك في كفر هؤلاء بعد معرفة قولهم ومعرفة دين الإسلام فهو كافر، كمن يشك في كفر اليهود والنصارىٰ والمشركين»[١].

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب: «فإن كان شاكاً في كفرهم أو جاهلاً بكفرهم بينت له الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ علىٰ كفرهم، فإن شك بعد ذلك وتردد فإنه كافر بإجماع العلماء، علىٰ أن من شك في كفر الكافر[٢] فهو كافر»[٣].

وفي آخر هذا الناقض نذكر فائدتين ذكرهما شيخ الإسلام ابن تيمية:

الأولىٰ: التنبيه إلىٰ الفرق بين الشك والوسوسة «فالوسوسة هي ما يهجم علىٰ القلب بغير اختيار الإنسان، فإذا كرهه العبد ونفاه كانت كراهته صريح الإيمان»[٤] أما الشاك فيما جاء به الرسول ﷺ، فهو تارك للإيمان الذي لانجاة ولا سعادة إلا به.

الثانية: يذكر شيخ الإسلام فرقاً دقيقاً بين الريب والشك، فيقول: «والريب يكون في علم القلب وفي عمل القلب، بخلاف الشك، فإنه

(١) مجموع الفتاوىٰ ٢/ ٣٦٨.
(٢) كفراً أصلياً أو من ثبت كفره يقيناً.
(٣) رسالة اوثق عري الإيمان ص ٦١.
(٤) مجموع الفتاوىٰ ١٤/ ١٠٨.

لايكون إلا في العلم، ولهذا لا يوصف باليقين إلا من اطمأن قلبه علماً وعملاً»[1]، وبذلك يكون الشك أخص من الريب، ويكون الشاك كافراً بسبب الإخلال بشرط العلم الذي هو أصل قول القلب[2].

---

(١) الإيمان: ٢٦٧.

(٢) انظر نواقض الإيمان الاعتقادية للوهيبي ص ٢/ ٧٣.

* الناقض الرابع:

من اعتقد أن هدي غير النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه، فهو كافر.

ينقسم هذا الناقض إلى قسمين:

الأول: أن يعتقد أن حكم وهدي غير الرسول ﷺ أحسن من حكم وهدي الرسول ﷺ.

والهدي: الطريقة والسنة التي كان عليها المصطفى ﷺ، ويدخل في الهدي جميع الدين الذي بلغه عن الله ومن ذلك الأحكام، فالهدي أعم والحكم أخص.

فمن اعتقد أن هدي وحكم غير الرسول ﷺ أحسن من هدي وحكم الرسول ﷺ فهو كافر من وجهين:

١ـ أنه كذب ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بأن الدين والطريقة التي جاء بها الرسول ﷺ أفضل وأحسن الطرق، وأنه لا يسع أحداً من الناس الخروج عن هذه الطريقة.

فقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾ [الإسراء: ٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾[الجن: ١، ٢].

وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب يقول: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد»[١].

٢ـ أن في ذلك انتقاصا للخالق عز وجل، وتفضيل المخلوق علىٰ الخالق، والله سبحانه يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم: «من اعتقد أن حكم غير الرسول ﷺ أحسن من حكمه وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند التنازع، إما مطلقا، أو بالنسبة إلىٰ ما استجد من الحوادث التي نشأت عن تطور الزمان وتغير الأحوال، فلا ريب أنه كفر؛ لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي محض زبالة الأذهان، وصرف نحالة الأفكار علىٰ حكم الحكيم الحميد»[٢].

ويقول ابن أبي العز: «إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه، أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله، فهذا كفر أكبر»[٣].

(١) رواه مسلم كتاب الجمعة ٢/ ٤٩٦.

(٢) رسالة تحكيم القوانين، ص ١٤.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٤٤٦.

الثاني : أن يعرض عن شريعة الرسول ﷺ ولا يحكمها ويتحاكم إليها .

فترك الحكم بما أنزل الله والحكم بسواه من أنظمة البشر كفر لقوله تعالىٰ : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤]، وقال : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] .

قال ابن تيمية :

«ذم الله عزوجل المدعين الإيمان بالكتب كلها ، وهم يتركون التحاكم إلىٰ الكتاب والسنة ويتحاكمون إلىٰ بعض الطواغيت المعظمة من دون الله ، كما يصيب ذلك كثيراً ممن يدعي الإسلام وينتحله في تحاكمهم إلىٰ مقالات الصابئة الفلاسفة أو غيرهم ، أو إلىٰ سياسة بعض الملوك الخارجين عن شريعة الإسلام من ملوك الترك وغيرهم ، وإذا قيل لهم تعالوا إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أعرضوا عن ذلك إعراضاً ، وإذا أصابتهم مصيبة في عقولهم ودينهم ودنياهم بالشبهات والشهوات ، أو في نفوسهم وأموالهم عقوبة علىٰ نفاقهم ، قالوا إنما أردنا أن نحسن بتحقيق العلم بالذوق ، ونوفق بين الدلائل الشرعية والقواطع العقلية التي هي في الحقيقة ظنون وشبهات»[١] .

---

(١) مجموع الفتاوي ١٢/ ٣٣٩ بتصرف .

ويقول أيضا: «ومعلوم باتفاق المسلمين أنه يجب تحكيم الرسول ﷺ في كل ما شجر بين الناس في أمر دينهم ودنياهم في أصول دينهم وفروعه، وعليهم كلهم إذا حكم بشيء أن لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما حكم ويسلموا تسليماً»[(١)].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم:

«فانظر كيف سجل تعالى على الحاكمين بغير ما أنزل الله الكفر والظلم والفسوق، ومن الممتنع أن يُسمي الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً ولا يكون كافراً، بل كافر مطلقا، إما كفر عمل، وإما كفر اعتقاد، وماجاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير هذه الآية من رواية طاووس وغيره يدل أن الحاكم بغير ما أنزل الله كافر، إما كفر اعتقاد ناقل عن الملة، وإما كفر عمل لا ينقل عن الملة.

أما الأول: وهو كفر الاعتقاد فهو أنواع:

الأول: إذا جحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله، وهو معنى ما روي عن ابن عباس، واختاره ابن جرير. وجحود ما أنزل الله من الحكم الشرعي لا نزاع فيه بين أهل العلم، فإن الأصول المتقررة المتفق عليها بينهم، أن من جحد أصلا من أصول الدين أو فرعاً مجمعاً عليه، أو أنكر حرفاً مما جاء به الرسول ﷺ قطعيا، فإنه كافر كفراً ينقل عن الملة.

(١) المرجع السابق ٧/ ٣٧.

الثاني : إن لم يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أن حكم الله ورسوله حق، ولكنه اعتقد أن حكم غير الرسول ﷺ أحسن من حكمه، وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس وما استجد لهم من حوادث نشأت عن تطور الزمان، وتغير الأحوال، فهذا أيضا لا ريب في كفره لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي زبالة الأذهان وحثالة الأفكار على حكم الحكيم الخبير، فإنه ما من قضية كائنة ما كانت إلا وحكمها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ نصاً أو ظاهراً أو استنباطا أو غير ذلك، علم ذلك من علمه وجهله من جهله.

الثالث : أن لا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله، لكن اعتقد أنه مثله، فهذا كالنوعين السابقين كفر ينقل عن الملة، لما في ذلك من تسوية المخلوق بالخالق.

الرابع : من اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله، فهو كالذي قبله.

الخامس : من أعظم ذلك وأظهرها معاندة للشرع ومكابرة لأحكامه، ومشاقة لله ولرسوله، إيجاد المحاكم الوضعية التي مراجعها القانون الوضعي، كالقانون الفرنسي أو الأمريكي أو البريطاني أو غيرها من مذاهب الكفار، وأي كفر فوق هذا الكفر؟! وأي مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة.

السادس : ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل من البوادي

ونحوهم من حكايات آبائهم وأجدادهم وعاداتهم التي يسمونها «سلومهم»، يتوارثون ذلك منهم ويحكمون به رغبة وإعراضاً عن حكم الله.

وأما القسم الثاني من قسمي كفر الحاكم بغير ما أنزل الله، وهو الذي لا يخرج من الملة:

فقد تقدم أن تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، قد شمل ذلك القسم، وذلك في قوله ـ رضي الله عنه ـ في الآية: «كفر دون كفر» وقوله أيضاً «ليس بالكفر الذي تذهبون إليه»، وذلك أن تحمله شهوته وهواه علىٰ الحكم في القضية، بغير ما أنزل الله، مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق، واعترافه علىٰ نفسه بالخطأ، ومجانبة الهدىٰ.

وهذا وإن لم يخرجه كفره عن الملة، فإنه معصية عظمىٰ أكبر من الكبائر، كالزنا وشرب الخمر، والسرقة، واليمين الغموس، وغيرها، فإن معصية سماها الله في كتابه كفراً، أعظم من معصية لم يسمها كفراً(١).

ومن خلال عرض الحالات السابقة، يظهر حكم الحاكم بغير ما أنزل الله، ويبقىٰ موضوع المحكوم بتلك القوانين الطاغوتية، فإن كفره

(١) تحكيم القوانين، للشيخ محمد بن إبراهيم ص ١٣ بتصرف يسير.

متعلق بقبوله لغير شريعة الله، ورضاه بها. إضافة إلىٰ ذلك فإن متابعة هذا المحكوم وقبوله لغير الشريعة من خلال تحاكمه إلىٰ غير ما أنزل الله تعالىٰ، لا يخلو من امتناع عن قبول حكم الله وحده، أو تجويز للحكم بالطاغوت، وقد أمروا أن يكفروا به، أو تفضيل لحكم الطاغوت علىٰ حكم الله تعالىٰ، أو التسوية بينهما[1].

يقول الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً﴾ [النساء: ٦٠، ٦١].

وقال تعالىٰ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

يقول ابن تيمية في معنىٰ هذه الآية:

«هؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله يكونون علىٰ وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله، فيتبعونهم علىٰ التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله اتباعاً لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله

(١) انظر نواقض الإيمان القولية والعملية، ص ٣٣٢.

شركاً ـ وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم ـ فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين، واعتقد ما قاله ذلك، دون ما قاله الله ورسوله، مشركاً مثل هؤلاء.

والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتاً، لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم . ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب[(١)]، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إنما الطاعة في المعروف»[(٢)(٣)].

قوله: «**كالذين يفضلون حكم الطواغيت**».

الطاغوت مشق من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، وأجمع ما قيل في تعريفه ما ذكره ابن القيم رحمه الله بأنه: ما تجاوز به العبد حده من متبوع، أو معبود، أو مطاع.

ومراده من كان راضياً بذلك، أو يقال: هو طاغوت باعتبار عابده،

(١) وهناك أمر آخر ينافي كمال التوحيد، وهو أنه توجد في بعض الدول التي تعلن التزامها بالإسلام أنظمة مصلحية لا تخالف كتاب الله ولا سنة رسوله، كبعض التنظيمات الإدارية والمالية والمرورية والبلدية، وليست الخطورة في وجود هذه التنظيمات، وإنما واقع الناس حيالها، حيث إنهم يعطونها من الاحترام ما لا يعطونه لأمر الله ونهيه، فيعظمون من شأنها ويجرمون مخالفها ويشنعون عليه مما لا يفعلون مثله لو خالف أمر الله وحكمه، بل تجدهم تجاه أحكام الشرع يبحثون له عن الرخص، ويأخذون بأدلة عامة تذهب ريح أحكام الشرع وتقلل من هيبتها، وتهوّن مخالفتها، فيعظم في نفوس الناس أوامر البشر وأحكامهم، فيضعف عندهم وازع الدين وهيبة الشرع، وهذا فيه من منافاة كمال التوحيد مافيه. (التوحيد أولاً، ناصر العمر ص ٤٢).

(٢) رواه البخاري في الأحكام ٦/ ٢٦١٢، ومسلم في الإمارة ٣/ ١١٦٨.

(٣) مجموع الفتاوى ٧/ ٧٠.

وتابعه، ومطيعه، لأنه تجاوز به حدّه حيث نزله فوق منزلته التي جعلها الله له، فتكون عبادته لهذا المعبود، واتباعه لمتبوعه، وطاعته لمطاعه طغياناً لمجاوزته الحد بذلك.

فالمتبوع مثل: الكهان، والسحرة، وعلماء السوء. والمعبود مثل: الأصنام. والمطاع مثل: الأمراء الخارجين عن طاعة الله. فإذا اتخذهم الإنسان أرباباً، يحل ماحرم الله من أجل تحليلهم له، ويحرم ما أحل الله من أجل تحريمهم له، فهؤلاء طواغيت، والفاعل تابع للطاغوت[1].

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عبد وهو راض، ومن دعا الناس إلىٰ عبادة نفسه، ومن ادعىٰ شيئا من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦][2].

فزعماء ومقلدو الطاغوت خمسة، في مقدمتهم إبليس، ومن عبد وهو راض أن يعبد من دون الله فإنه من رؤوس الطواغيت، سواء عبد في حياته أو بعد مماته إذا مات وهو راض بذلك.

ومن الطواغيت من دعا الناس إلىٰ عبادة نفسه وإن لم يعبدوه، فإنه من رؤوس الطواغيت سواء أجيب لما دعا إليه أم لم يجب.

(١) القول المفيد ١/ ٣٠.

(٢) الأصول الثلاثة ص١٥.

وكذلك من ادعىٰ شيئا من علم غيب، غيب المستقبل، فإنه لا يكون معلوماً لأحد إلا الله وحده أو من أطلعه عليه من الرسل، فمن ادعىٰ علمه فهو كافر لأنه مكذب لله عزوجل ولرسوله ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥][1].

---

(١) انظر شرح الأصول الثلاثة ص ١٥٦.

*** الناقض الخامس :**

من أبغض شيئا مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولو عمل به فقد كفر لقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

وجه تكفير من كره ما شرعه الله وأنزله على عباده، أن هذا انتقاص لما شرعه الله عزوجل وكلف به عباده، واعتقاد أن ما شرعه الله ليس فيه السعادة والنجاة والهدى والصلاح.

وبغض وكراهية الحق من صفات الكافرين، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩]، فكرهوا ما أنزل الله من القرآن، فلم يقبلوه، بل أبغضوه.

وقال سبحانه: ﴿بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٠]، وقد وصف سبحانه المنافقين بهذه الصفة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤]، وقال سبحانه: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١]، فقد كرهوا الجهاد بسبب ما في قلوبهم من النفاق، ولذلك ذكر الأئمة بغض أو كراهية ما جاء به الرسول ﷺ أو بعضه، ضمن صور وأقسام النفاق الأكبر المخرج من الملة.

فقد ذكره ابن تيمية مع بعض صوره فقال:

«فمن النفاق ما هو أكبر، يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار، كنفاق عبدالله بن أُبي وغيره، بأن يظهر تكذيب الرسول، أو جحود بعض ما جاء به، أو بعضه، أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه، أو المسرة بانخفاض دينه، أو المساءة بظهور دينه، ونحو ذلك، مما لا يكون صاحبه إلا عدواً لله ورسوله»[١].

وعده في أنواعه الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فقال:

«فأما النفاق الاعتقادي فهو ستة أنواع: تكذيب الرسول، أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول، أو بغض الرسول، أو بغض ما جاء به الرسول، أو المسرة بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية بانتصار دين الرسول، فهذه الأنواع الستة صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار»[٢].

* والبغض والكراهة على قسمين:

١ـ أن يبغض ويكره ما جاء به الرسول ﷺ، مع اعتقاد أن ما جاء به وشرعه الله ليس فيه لافلاح ولا نجاة ولا سعادة، وذلك بأن:

أـ أن يبغض ويكره الله سبحانه وتعالى أو الرسول ﷺ، وهذا ردة، لأنه يلزم من الإيمان بالله وبربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته،

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٤٣٤.
(٢) مجموع التوحيد ١/ ١٠.

كمال المحبة لله عزوجل، و لأن العبادة قائمة على كمال الخضوع والذل، وعلى كمال الطاعة والانقياد، وعلى كمال التعظيم لله، وعلى كمال المحبة والمودة له عز وجل.

ب ـ أن يبغض ويكره ما شرعه الله بالكلية، أو يبغض ويكره بعض ما شرعه الله، مع رد ما شرعه الله، واعتقاد أن ذلك ليس فيه الحق والهدى والصلاح.

٢ـ أن يبغض ويكره التكاليف، ويتمنى أن الله لم يكلف بها، مع اعتقاد أن ما شرعه الله هو الحق والصواب، فهذا ليس المقصود هنا.

وكون البغض والكراهة من نواقض الإسلام من وجهين:

الأول: أن فيه إخلالا بشرط المحبة والتعظيم لله عزوجل، ومحبة أوامره، وأوامر رسول الله ﷺ، والمحبة من شروط لا إله إلا الله.

الثاني: أن فيه تركاً للقبول والانقياد والتسليم؛ لأن ذلك من شروط شهادة أن لا إله إلا الله، ومن مقتضى المحبة.

ولذلك كفّر العلماء من اتصف بهذه الصفة، «لأنه يعترف لله ورسوله بكل ما أخبر به ويصدق بكل ما يصدق به المؤمنون، لكنه يكره ذلك ويبغضه ويسخطه لعدم موافقته لمراده، ومشتهاه، ويقول: لا أقر بذلك ولا ألتزمه، وأبغض هذا الحق وأنفر عنه، . . . وتكفير هذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، والقرآن مملوء من تكفير مثل هذا

النوع»[١].

وجاء في شرح الإقناع: «قوله: أو كان مبغضاً لما جاء به الرسول، ولم يشرك بالله، لكن أبغض السؤال عنه ودعوة الناس إليه، كما هو حال من يدعي العلم ويقرر أنه دين الله ورسوله، ويبغضونه أكثر من بغض دين اليهود والنصارىٰ، بل يعادون من التفت إليه، ويحلون دمه وماله، ويرمونه عند الحكام» - إلىٰ أن يقول -: «والتكفير بالاتفاق فيمن أبغض النهي عنه - أي الشرك -، وأبغض الأمر بمعاداة أهله، ولو لم يتكلم وينصر، فكيف إذا فعل ما فعل»[٢].

---

(١) الصارم المسلول ٥٢٢.
(٢) الإقناع مع شرحه كشاف القناع: ٣/ ٦٢.

*** الناقض السادس:**

من استهزأ بشيء من دين الرسول صلى الله عليه وسلم أو ثوابه أو عقابه كفر لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ. لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

الاستهزاء: هو انتقاص الرب جل وعلا والسخرية منه، أو انتقاص الرسول ﷺ و السخرية منه، أو انتقاص الدين والسخرية منه.

لقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ . لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء، يعني: رسول الله ﷺ وأصحابه القراء! فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق؛ لأخبرنّ رسوله الله ﷺ، فذهب عوف إلى رسول ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق، قال ابن عمر رضي الله عنهما: كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكب رجيله، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، فيقول له رسول الله ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ . لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]، ما يلتفت إليه ومايزيده عليه[1].

---

(١) رواه ابن جرير ١٤/ ٣٣٣، ولا بأس بإسناده.

قال ابن تيمية : ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ. لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦] ، فقد أمره أن يقول لهم : قد كفرتم بعد إيمانكم ، وقول من يقول عن مثل هذه الآيات : إنهم كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كفرهم أولاً بقلوبهم لايصح ؛ لأن الإيمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر فلا يقال : قد كفرتم بعد إيمانكم فإنهم لم يزالوا كافرين في نفس الأمر ، وإن أريد أنكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان فهم لم يظهروا للناس إلا لخواصهم ، وهم مع خواصهم مازالوا هكذا . . .

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ فاعترفوا واعتذروا ، ولهذا قيل : ﴿لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ ، فدل على أنهم لم يكونوا عند أنفسهم قد أتوا كفراً ، بل ظنوا أن ذلك ليس بكفر ، فبين أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر يكفر به صاحبه بعد إيمانه ، فدل على أنه كان عندهم إيمان ضعيف ففعلوا هذا المحرم الذي عرفوا أنه محرم ، ولكن لم يظنوه كفراً وكان كفراً كفروا به ، فإنهم لم يعتقدوا جوازه»[(١)] .

وقال أيضا : قوله سبحانه : ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ .وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ . لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٤ ـ ٦٦]، هذا نص في أن الاستهزاء بالله وبآياته وبرسوله كفر ، فالسب المقصود بطريق الأولى ، وقد دلت هذه الآية

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٢٧٢ ؛ ٢٧٣ .

على أن كل من تنقص رسول الله ﷺ جاداً أو هازلاً فقد كفر»[١].

وسئل الشيخ محمد بن عبدالوهاب عن مسائل: الأولى قوله في باب حكم المرتد: أو استهزأ بالله أو رسله كفر، وما وصف هذا الاستهزاء المكفر؟

والرابعة: قوله: أو نطق بكلمة كفر ولم يعلم معناها فلا يكفر ذلك، هل المعنى: نطق بها ولم يعرف شرحها، أو نطق بها ولم يعلم أنها تكفره؟

فأجاب: فالمسألة الأولى: قد استدل العلماء عليها بقوله تعالى في حق بعض المسلمين المهاجرين في غزوة تبوك: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥]، وذكر السلف والخلف: أن معناها عام إلى يوم القيامة فيمن استهزأ بالله أو القرآن أو الرسول، وصفة كلامهم أنهم قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء، يعنون بذلك: رسول الله ﷺ والعلماء من أصحابه، فلما نقل الكلام عن عوف بن مالك أتى القائل يعتذر أنه قاله على وجه اللعب كما يفعل المسافرون، فينزل الوحي أن هذا كفر بعد الإيمان، ولو كان على وجه المزح، والذي يعتذر يظن أن الكفر إذا قاله جاداً لا لاعباً.

الرابعة: إذا نطق بكلمة الكفر ولم يعلم معناها صريح واضح أنه يكون نطق بما لا يعرف معناه، وأما كونه أنه لا يعرف أنها تكفره فيكفي فيه قوله: ﴿لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]، فهم يعتذرون

(١) الصارم المسلول ص ٢٨.

للنبي ﷺ ظانين أنها لا تكفرهم، والعجب ممن يحملها على هذا وهو يسمع قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠]، ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٧]، أيظن أن هؤلاء ليسوا كفاراً؟ لكن لا تستنكر الجهل الواضح لهذه المسائل لأجل غربتها[(١)].

واعلم أن الاستهزاء على نوعين:

أحدهما: الاستهزاء الصريح كالذي نزلت فيه الآية، وهو قولهم: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء، أو نحو ذلك من أقوال المستهزئين، و كقول بعضهم: دينكم هذا دين خامس، وقول الآخر: دينكم أخرق، وقول الآخر، إذا رأى الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر: جاءكم أهل الديك بالكاف بدل النون، وقول الآخر إذا رأى طلبة العلم: هؤلاء الطلْبة بسكون اللام، وما أشبه ذلك مما لا يحصى إلا بكلفة، مما هو أعظم من قول الذين نزلت فيهم الآية.

النوع الثاني: غير الصريح: وهو البحر الذي لا ساحل له، مثل الرمز بالعين، وإخراج اللسان، ومد الشفة، والغمزة باليد عند تلاوة كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ، أو عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[(٢)].

---

(١) تاريخ نجد، ص ٤٤٧ ـ ٤٥٤.

(٢) مجموعة التوحيد ١/ ٣٥٩.

قال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب: أجمع العلماء على كفر من استهزأ بالله، أو بكتابه، أو برسوله، أو بدينه، ولو هازلاً لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجماعاً[١].

وسئل الشيخ حمد بن عتيق عن معنى قول الفقهاء: من قال يا فقيّه بالتصغير يكفر، فكان من جوابه: «اعلم أن العلماء قد أجمعوا على أن من استهزأ بالله، أو رسوله، أو كتابه، فهو كافر، وكذا إذا أتى بقول أو فعل صريح في الاستهزاء، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ . لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]. وسبب النزول مشهور.

وأما قول القائل: «فقيِّه»، أو «عويْلِم»، أوْ «مطَيْوِيْع» ونحو ذلك، فإذا كان قصد القائل الهزل، أو الاستهزاء بالفقه أو العلم أو الطاعة، فهذا كفر أيضاً، ينقل عن الملة، فيستتاب فإن تاب وإلا قتل مرتداً[٢].

ويقول السعدي: إن الاستهزاء بالله ورسوله كفر يخرج عن الدين، لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله وتعظيم دينه ورسله، والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل ومناقض له أشد المناقضة[٣].

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٦١٧.
(٢) الدرر السنية ١٠/ ٤٢٨.
(٣) تفسير السعدي ٣/ ٢٥٩.

قال ابن عثيمين: الاستهزاء بالله تعالى، أو برسوله ﷺ، أو سنة رسوله ﷺ، كفر وردة يخرج به الإنسان من الإسلام؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ . لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]، فكل من استهزأ بالله أو برسوله الله ﷺ، أو بدين رسول الله ﷺ، فإنه كافر مرتد يجب عليه أن يتوب إلى الله تعالى، وإذا تاب إلى الله فإن الله تعالى يقبل توبته لقوله تعالى في هؤلاء المستهزئين: ﴿لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٦].

فبين الله تعالى أنه قد يعفو عن طائفة منهم، ولا يكون ذلك إلا بالتوبة إلى الله عزوجل من كفرهم الذي كان باستهزائهم بالله وآياته ورسوله[١].

والاستهزاء بالعلماء والصالحين على ضربين:

أحدهما: الاستهزاء بأشخاصهم، كمن يستهزئ بأوصافهم الخلقية أو الخُلقية، وهذا محرم لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «ينهى تعالى عن السخرية

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٢/ ١٥٥.

بالناس، وهو احتقارهم والاستهزاء بهم، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الكبر بطر الحق وغمص الناس ـ ويروىٰ ـ وغمط الناس»[١].

والمراد من ذلك احتقارهم واستصغارهم، وهذا حرام، فإنه قد يكون المحتَقَر أعظم قدرا عند الله تعالىٰ، وأحب إليه من الساخر منه المحتَقِر له[٢].

والضرب الآخر: الاستهزاء بالعلماء لكونهم علماء، ومن أجل ماهم عليه من العلم الشرعي، فهذا كفر؛ لأنه استهزاء بدين الله تعالىٰ، وكذا الاستهزاء بأهل الصلاح من أجل استقامتهم علىٰ الديانة، واتباعهم للسنة، فالاستهزاء هاهنا متوجه إلىٰ الدين والسنة[٣].

فيجب علىٰ كل مسلم أن يصادم المستهزئين بدين الله وبما جاء به الرسول ﷺ، ولو كانوا أقرب قريب، وأن لا يجالسهم، لئلا يكون منهم، كما قال تعالىٰ: ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ**﴾ [النساء: ١٤٠].

فمن سمع آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها وهو جالس معهم مع رضاه بالجلوس معهم، فهو مثلهم في الإثم والكفر والخروج عن

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان ١/ ٨٩.
(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٢١٣.
(٣) نواقض الإيمان القولية والعملية ص ٤٤٢.

الإسلام.

وقوله: **«أو ثوابه أو عقابه»**، أي: من استهزأ بشيء مما جاء الدين به من ثواب الأعمال أو العقاب على بعض الأفعال، كما يتلفظ بذلك المغرورون المتهتكون الجاهلون، فهذا كفر عظيم، فنعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه[1].

(١) التنبيهات المختصرة ص ٧٤.

*** الناقض السابع:**

السحر ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

السحر لغة: ماخفي ولطف سببه.

وأما في الشرع فإنه ينقسم إلىٰ قسمين:

الأول: عُقد ورُقي، أي قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلىٰ استخدام الشياطين فيما يريد به ضرر المسحور، لكن قد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الثاني: أدوية وعقاقير تؤثر علىٰ بدن المسحور وعقله وإرادته وميله، فتجده ينصرف ويميل، وهو ما يسمىٰ عندهم بالصرف والعطف.

فيجعلون الإنسان ينعطف علىٰ زوجته أو امرأة أخرىٰ حتىٰ يكون كالبهيمة تقوده كما تشاء، والصرف بالعكس من ذلك.

فيؤثر في بدن المسحور: بإضعافه شيئا فشيئاً حتىٰ يهلك، وفي تصوره بأن يتخيل الأشياء علىٰ خلاف ما هي عليه، وفي عقله فربما يصل إلىٰ الجنون.

فالسحر قسمان:

أ- شرك، وهو الأول الذي يكون بواسطة الشياطين، يعبدهم

ويتقرب إليهم ليسلطهم على المسحور.

ب ـ عدوان، وهو الثاني الذي يكون بواسطة الأدوية، والعقاقير ونحوها.

وبهذا التقسيم الذي ذكرناه نتوصل إلى مسألة مهمة، وهي: هل يكفر الساحر أو لا يكفر؟

اختلف في هذا أهل العلم، فمنهم من قال: إنه يكفر، ومنهم من قال: إنه لا يكفر.

ولكن التقسيم السابق الذي ذكرناه يتبين به حكم هذه المسألة، فمن كان سحره بواسطة الشياطين فإنه يكفر، لأنه لا يتأتى ذلك إلا بالشرك غالباً، ومن كان سحره بالأدوية والعقاقير ونحوها فلا يكفر، ولكن يعتبر عاصياً معتدياً[١].

عقوبة الساحر:

عقوبة الساحر القتل، لما ثبت عن الصحابة أنهم أفتوا بقتل السحرة، فعن عمر رضي الله عنه أنه قال: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة[٢]. وصح عن حفصة رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت[٣]. ولحديث «حد الساحر ضربة بالسيف»[٤].

(١) القول المفيد ٢/ ٥، ٦.

(٢) وراه أحمد ١/ ١٩٠، وأبو داود في الخراج ٣/ ٤٣١، وإسناده صحيح.

(٣) رواه البخاري في التاريخ الكبير ٢/ ٢٢٢، وصححه الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد، وإسناده صحيح.

(٤) رواه الترمذي في الحدود ٤/ ٤٩، والحديث صحيح موقوف عن جندب.

«وبهذا الحديث أخذ أحمد ومالك وأبو حنيفة، فقالوا: يقتل الساحر، وروي ذلك عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وجندب بن عبدالله وجندب بن كعب وقيس بن سعد وعمر بن عبدالعزيز، ولم ير الشافعي عليه القتل بمجرد السحر إلا إن عمل في سحره ما يبلغ الكفر، وبه قال ابن المنذر وهو رواية عن أحمد، والأول أولىٰ للحديث، ولأثر عمر، وعمل به الناس في خلافته من غير نكير فكان إجماعاً»[1].

قال ابن عثيمين: «والحاصل: أنه يجب أن نقتل السحرة سواء قلنا بكفرهم أو لم نقل، لأنهم يمرضون ويقتلون، ويفرقون بين المرء وزوجه، وكذلك العكس، فقد يعطفون فيؤلفون بين الأعداء، ويتوصلون إلىٰ أغراضهم، فإن بعضهم قد يسحر أحداً ليعطفه إليه وينال مأربه منه، كما لو سحر امرأة ليبغي بها، ولأنهم كانوا يسعون في الأرض فساداً فكان واجباً علىٰ ولي الأمر قتلهم بدون استتابة ما دام أنه حد لضررهم وفظاعة أمرهم، فإن الحد لا يستتاب صاحبه متىٰ قبض عليه، وجب أن ينفذ فيه الحد.. والقول بقتلهم موافق للقواعد الشرعية، لأن مثل هؤلاء إذا تركوا وشأنهم انتشر فسادهم في أرضهم وفي أرض غيرهم، وإذا قتلوا سلم الناس من شرهم، وارتدع الناس عن تعاطي السحر.»[2].

حرمة حل السحر بالسحر:

روي عن الحسن أنه قال: لا يحل السحر إلا ساحر.

---

(١) تيسير العزيز الحميد، ص ٣٩١.
(٢) القول المفيد ٢/ ٣٠.

قال ابن القيم: النرة: حل السحر عن المسحور، وهي نوعان:

أحدهما: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلىٰ الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز[١].

أنواع السحر وما يلحق به:

«فمنها علم التنجيم، وهو أنواع: أعظمها ما يفعله عبدة النجوم ويعتقدونه في السبعة السيارة وغيرها، فقد بنوا بيوتاً لأجلها، وصوروا فيها تماثيل سموها بأسماء النجوم، وجعلوا لها مناسك وشرائع يعبدونها بكيفياتها.

ومنها ما يفعله من يكتب حروف ما يعرف بأبي جاد، ويجعل لكل منها قدراً من العدد معلوماً، ويجري علىٰ ذلك أسماء الآدميين والأزمنة والأمكنة وغيرها، ويجمع جمعا معروفا عنده، ويطرح منه طرحاً خاصاً، ويثبت إثباتاً خاصاً، وينسب إلىٰ الأبراج الاثني عشر المعروفة عند أهل الحساب، ثم يحكم علىٰ تلك القواعد بالسعود والنحوس وغيرها مما يوحيه إليه الشيطان.

ومنها النظر في حركات الأفلاك ودورانها وطلوعها وغروبها

(١) انظر مجموع التوحيد ١/ ٢٤٨، ٢٤٩.

واقترانها وافتراقها، معتقدين أن لكل نجم منها تأثيرات في كل حركاته منفرداً، وله تأثيرات أخر عند اقترانه بغيره في غلاء الأسعار ورخصها، وهبوب الرياح وسكونها، ووقوع الكوائن والحوادث.

ومنها النظر في منازل القمر الثمانية والعشرين، مع اعتقاد التأثيرات في اقتران القمر بكل منها ومفارقته.

وكل هذه الأنواع اعتقاد صدقها محادة لله ولرسوله، وتكذيب بشرعه وتنزيله، واتباع لزخارف الشيطان ما أنزل الله بذلك من سلطان، والنجم مخلوق من المخلوقات مربوب مسخر مدبر كائن بعد أن لم يكن، مسبوق بالعدم المحض متعقب به ليس له تأثير في حركة في الكون ولا سكون لا في نفسه ولا في غيره، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤][١].

ومما يلحق بالسحر أيضاً: العيافة والطرق والطيرة، لما جاء في قوله ﷺ: «العيافة والطرق والطيرة من الجبت»[٢].

الجبت هو السحر عند جمع من أهل العلم.

والمقصود بالعيافة: زجر الطير والحيوان، والاستدلال بأصواتها

---

(١) مختصر معارج القبول، للشيخ حافظ الحكمي ص ١٦٢.

(٢) رواه أحمد ٣/ ٤٧٧، وأبو داود ٤/ ٢٢٨، وحسنه ابن تيمية في مجموع الفتاوىٰ ٣٥/ ١٩٢، وحسنه النووي في رياض الصالحين، وقال عنه الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد: إسناده جيد والحديث لا بأس بإسناده.

وحركاتها وسائر أحوالها على الحوادث، واستعلام ما غاب عنهم.

وأما الطرق فهو الخط على الأرض، وقال بعضهم: الضرب بالحصى، ويسمى علم الرمل، حيث يستدلون بأشكال الرمل على أحوال المسألة حين السؤال.

والطيرة: التشاؤم، وأصله أن العرب في الجاهلية يعتمدون على الطير، فإذا خرج أحدهم لأمر، فإن رأى الطير طار يمنة تيمن به واستمر، وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع.

ووجه كون العيافة والطرق والطيرة سحراً، لما فيها من دعوى علم الغيب ومنازعة الله تعالى في ربوبيته، فإن علم الغيب من صفات الربوبية التي استأثر الله تعالى بها دون من سواه، إضافة إلى أن بعضهم يعتقد أن تلك الأشياء تنفع أو تضر بغير إذن الله تعالى(١).

تصديق الكاهن كفر:

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ أنه قال: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة»(٢).

والعراف قيل هو الكاهن، وهو الذي يخبر عن المستقبل، وقيل: هو اسم عام للكهان والمنجم والرمال ونحوهم ممن يستدل على معرفة الغيب بمقدمات يستعملها، فيشمل كل من تعاطى هذه الأمور وادعى بها المعرفة.

---

(١) انظر نواقض الإيمان القولية والعملية ص ٥٢٢، ٥٢٣.

(٢) رواه مسلم، [كتاب السلام]: ٤/ ١٣٩٧.

قال ابن عثيمين: ظاهر الحديث أن مجرد سؤاله يوجب عدم قبول صلاته أربعين يوما، ولكنه ليس على إطلاقه، فسؤال العراف ونحوه ينقسم إلى أقسام:

الأول: أن يسأله سؤالا مجرداً فهذا حرام، لقول النبي ﷺ: «من أتى عرافاً...»(١)، فإثبات العقوبة على سؤاله يدل على تحريمه، إذ لا عقوبة إلا على محرم.

الثاني: أن يسأله فيصدقه، ويعتبر قوله، فهذا كفر، لأن تصديقه في علم الغيب تكذيب للقرآن حيث قال تعالى: ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

الثالث: أن يسأله ليظهر عجزه وكذبه، فيمتحنه في أمور يتبين بها كذبه وعجزه، وهذا مطلوب، وقد يكون واجباً.

وقد سأل النبي ﷺ ابن صياد فقال: «ماذا خبأت لك؟ قال: الدخ، فقال: اخسأ فلن تعدو قدرك»(٢)، فالنبي ﷺ سأله عن شيء أضمره له لأجل أن يختبره فأخبره به.

وإبطال قول الكهنة لا شك أنه أمر مطلوب، وقد يكون واجباً، فصار السؤال هنا ليس على إطلاقه، بل يفصل فيه هذا التفصيل على حسب ما دلت عليه الأدلة الشرعية الأخرى(٣).

(١) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة
(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير ٣/ ١١١٢، ومسلم في كتاب الفتن ٤/ ١٧٧٥.
(٣) القول المفيد ٢/ ٦٠ بتصرف.

*** الناقض الثامن :**

مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

والمقصود من مظاهرة الكفار على المسلمين، أن يكون أولئك أنصاراً وظهوراً وأعواناً للكفار ضد المسلمين، فينضمون إليهم، ويذبون عنهم بالمال والسنان والبيان، فهذا كفر يناقض الإسلام[١].

قال ابن تيمية: «الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية المحبة والقرب، وأصل العداوة البغض والبعد، وقد قيل: إن الولي سمي ولياً من موالاته للطاعات، أي متابعته لها، والأول أصح، والولي القريب فيقال: هذا يلي هذا، أي يقرب منه»[١].

وموالاة المشركين تكون في عدة معان:

١ـ النصرة والتأييد على المسلمين:

وهذا المعنى من الموالاة منه ما يخرج من الملة كالموالاة المطلقة لهم ومنه ما دون ذلك.

ولذا يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي عن تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩]، «وذلك الظلم يكون بحسب التولي، فإن كان تولياً تاماً، كان ذلك كفراً مخرجاً عن دائرة

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/ ١٦٠.

الإسلام، وتحت ذلك من المراتب، ماهو غليظ وماهو دونه»[١].

ويقول عند تفسيره لقوله تعالىٰ : ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، «إن التولي التام يوجب الانتقال إلىٰ دينهم، والتولي القليل يدعو إلىٰ الكثير، ثم يتدرج شيئاً فشيئاً حتىٰ يكون العبد منهم»[٢].

وتضمنت رسالة «الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك» للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، أكثر من عشرين دليلا في النهي عن موالاة الكفار، فكان مما قاله الشيخ سليمان:

قوله تعالىٰ : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر: ١١].

فإذا كان وعد المشركين في السر ـ بالدخول معهم ونصرتهم والخروج معهم إن جلوا ـ نفاقاً وكفراً وإن كان كذباً، فكيف بمن أظهر لهم ذلك صادقاً، وقدم عليهم، ودخل في طاعتهم، ودعا إليها، ونصرهم وانقاد لهم، وصار من جملتهم، وأعانهم بالمال والرأي؟ هذا مع أن المنافقين لم يفعلوا ذلك إلا خوفاً من الدوائر كما قال تعالىٰ: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢][٣].

---

(١) تفسير السعدي ٧/ ٣٥٧.
(٢) المرجع السابق ٢/ ٣٠٤.
(٣) مجموع التوحيد ١/ ٣١٣، ٣١٤.

فمظاهرة الكفار ضد المسلمين خيانة لله تعالى، ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، قال تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ . وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨٠، ٨١].

فتولي الكفار موجب لسخط الله تعالى، والخلود في عذابه، ولو كان متوليهم مؤمناً ما فعل ذلك.

٢ـ المحبة والمودة الدينية:

يقول ابن تيمية: «وأما موادة عدوه فإنها تنافي المحبة ـ محبة الله ـ قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فأخبر أن المؤمن ـ الذي لا بد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، كما في الحديث المتفق عليه: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»(١)، لا تجده موادا لمن حاد الله ورسوله، فإن هذا جمع بين ضدين لا يجتمعان، ومحبوب لله ومحبوب معاديه لا يجتمعان.. وهذا الذي ذكرناه أمر يجده الإنسان من نفسه ويحسّه: أنه إذا أحب الشيء لم يحب ضده، بل يبغضه، فلا يتصور اجتماع إرادتين تامتين للضدين،

---

(١) رواه البخاري في الإيمان ١/ ١٤، ومسلم [في الإيمان] ١/ ٦٩.

لكن قد يكون في القلب نوع محبة، وإرادة لشيء، ونوع محبة وإرادة لضده، فهذا كثير، بل هو غالب على بني آدم، لكن لا يكون واحد منهما تاماً»(١).

ويلخص الشيخ حافظ الحكمي شروط وعلامات محبة الله فيقول: «وعلامة حب العبد ربه تقديم محابه وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى الله ورسوله، ومعاداة من عاداه، واتباع رسول الله ﷺ، واقتفاء أثره، وقبول هداه»(٢).

٣ـ كثرة المخالطة والمعاشرة والإقامة في بلاد الكفار:

فمن أقام ببلاد الكفر رغبة واختياراً لصحبتهم، فيرضى ماهم عليه من الدين أو يمدحه، أو يرضيهم بعيب المسلمين، فهذا كافر عدو لله ورسوله، لقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨](٣).

قال ابن حزم: «من لحق بدار الكفر والحرب مختاراً محارباً لمن يليه من المسلمين، فهو بهذا الفعل مرتد له أحكام المرتد كلها من وجوب القتل عليه، متى قدر عليه، ومن إباحة ماله، وانفساخ نكاحه، وغير ذلك؛ لأن رسول الله ﷺ، لم يبرأ من مسلم، وأما من فر إلى أرض

(١) قاعدة في المحبة ٨٩ـ ٩٠.
(٢) مختصر معارج القبول ص ١٢١.
(٣) نواقض الإيمان القولية والعملية ص ٣٦١.

الحرب لظلم خافه، ولم يحارب المسلمين، ولا أعانهم، ولم يجد في المسلمين من يجيره، فهذا لا شيء عليه، لأنه مضطر مكره»[(١)].

ويقول ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ [النساء: ٩٧].

«هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع»[(٢)].

ويقول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ: «الإقامة ببلد يعلو فيها الشرك والكفر، ويظهر الرفض، ودين الإفرنج ونحوهم من المعطلة للربوبية والإلهية، وترفع فيها شعائرهم، ويهدم الإسلام والتوحيد، ويعطل التسبيح والتكبير والتحميد، وتقلع قواعد الملة والإيمان، ويحكم بينهم بحكم الإفرنج واليونان، ويشتم السابقون من أهل بدر وبيعة الرضوان، فالإقامة بين أظهرهم والحالة هذه لا تصدر عن قلب باشره حقيقة الإسلام والإيمان والدين، بل لا يصدر عن قلب رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، فإن الرضى بهذه الأصول الثلاثة قطب الدين، وعليه تدور حقائق العلم واليقين»[(٣)].

---

(١) المحلى ١٣/ ١٣٨.
(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٥١٤.
(٣) الدرر السنية ٧/ ١٦٥، ١٦٦ باختصار.

٤ـ التشبه بالكفار:

نهىٰ النبي ﷺ عن التشبه بالكفار فقال: «من تشبه بقوم فهو منهم»[(١)].

يقول ابن تيمية عن هذا الحديث: «وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم، كما في قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، فقد يحمل هذا علىٰ التشبه المطلق، فإنه يوجب الكفر، ويقتضي تحريم أبعاض ذلك، وقد يحمل علىٰ أنه منهم، في القدر المشترك الذي شابههم فيه، فإن كان كفراً، أو معصية، أو شعاراً لهم، كان حكمه كذلك، وبكل حال يقتضي تحريم التشبه»[(٢)].

الأمور التي ورد النهي عن التشبه بالكفار وغيرهم فيها:

أـ أمور العقائد: وهي أخطر أمور التشبه، والتشبه فيها كفر، وشرك، مثل تقديس الصالحين، ومثل صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالىٰ، ومثل ادعاء النبوة أو الأبوة لله لأحد من خلق الله سبحانه.

ب ـ ما يتعلق بالأعياد: فالأعياد لأهميتها خُصّت بتأكيد النهي عن التشبه بالكفار فيها، وخصت أيضا بقصر المسلمين علىٰ عيدين في السنة، فالأعياد كأعياد الميلاد، والأعياد الوطنية، والاحتفالات المنتظمة، التي تأخذ يوماً في السنة، أو يوماً في الشهر، أو يوماً دورياً

---

(١) رواه أحمد ٢/ ٥٠، وإسناده حسن، وقال ابن تيمية في الاقتضاء إسناده جيد.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٣٧، ٢٣٨.

أو أسبوعاً يتكرر، تلتزم به الأمة، كل ذلك من أمور التشبه الصريحة التي وردت فيها النصوص.

ج ـ العبادات: وقد وردت في الشرع عن النبي ﷺ، على جهة التفصيل نصوص كثيرة في النهي عن التشبه بالكافرين في العبادات، وقد نصّت على أمور كثيرة نهياً عن التشبه بالكفار فيها، كتأخير صلاة المغرب، وكترك السحور، وتأخير الفطور، ونحو ذلك.

د ـ العادات والأخلاق والسلوك: كاللباس مثلاً: وهذا يسمى الهدي الظاهر. والهدي الظاهر: هو الهيئة، والشكل، كاللباس، وأنماط السلوك، والأخلاق، فقد ورد أيضا النهي عن التشبه في هذه الأمور على جهة الإجمال والتفصيل، كالنهي عن حلق اللحى، وعن اتخاذ آنية الذهب، وعن لبس ما هو من شعار الكفار، وعن التبرج، وعن الاختلاط، وعن تشبه الرجال بالنساء، وتشبه النساء بالرجال، ونحو ذلك من العادات[1].

أحكام التشبه:

هناك بعض الأحكام العامة، التي تنتظم جميع أنواع التشبه في الجملة، لا على جهة التفصيل على النحو التالي:

أ ـ من انواع التشبه بالكافرين ما هو شرك أو كفر، كالتشبه في العقائد والتشبه في بعض العبادات، وكالتشبه باليهود والنصارى،

---

(١) انظر من تشبه بقوم فهو منهم ـ د/ ناصر العقل ص ١٧، ١٨.

والمجوس، في الأمور المخلة بالتوحيد والعقيدة، كالتعطيل: وهو نفي أسماء الله تعالى، وصفاته، والإلحاد فيها. وكاعتقاد حلول الله تعالى في أحد من خلقه واتحاده بالمخلوقات، وكتقديس الأشخاص من الأنبياء والصالحين، وعبادتهم، ودعائهم من دون الله، وكتحكيم الشرائع والنظم البشرية، كل ذلك إما شرك وإما كفر.

ب ـ من التشبه ماهو معصية وفسق، كتقليد الكفار في بعض العادات، كالأكل باليد الشمال، والشرب بها، والتختم بالذهب، والتحلي به للرجال، وحلق اللحى، وتشبه النساء بالرجال، وتشبه الرجال بالنساء، ونحو ذلك.

ج ـ ما هو مكروه: وهو ماتردد الحكم فيه بين الإباحة والتحريم، على سبيل عدم الوضوح في الحكم، أعني أنه قد تتردد بعض أنماط السلوك والعادات والأشياء الدنيوية، بين الكراهة وبين الإباحة، فهذا دفعاً لوقوع المسلمين بالتشبه يبقي حكمه مكروهاً»(١).

٥ـ ومن معاني الموالاة:

إقامة مؤتمرات وتنظيم ملتقيات من أجل تقرير وحدة الأديان وإزالة الخلاف العقدي، وإسقاط الفوارق الأساسية فيما بين تلك الديانات وذلك من أجل توحيد هذه الملل المختلفة على أساس الاعتراف بعقائدها وصحتها، وقد يطلقون على هذه الوحده المزعومة بين

(١) المرجع السابق ص ٢٠، ٢١.

الديانات الثلاث «الإسلام والنصرانية واليهودية» ما يسمىٰ بالديانة الإبراهمية أو الديانة العالمية، وقد نشأت هذه الدعوات المضللة في أحضان التنصير، والصهيونية العالمية.

ولما كانت الدعوة إلىٰ وحدة الأديان كفراً بواحاً، وردة ظاهرة، يدركها العوام فضلاً عن الخواص، لذا فقد حرص أعداء هذا الدين علىٰ إيجاد ذرائع مبطنة، واستحداث وسائل مقنعة للوصول إلىٰ مآربهم في هذه القضية، ولذا نجدهم ابتداء يجاهرون بضرورة التعايش بين الأديان والحوار فيما بينها، ثم ينعقون بالحاجة الملحة إلىٰ زمالة الأديان والتقارب فيما بينها، من أجل مواجهة قوىٰ الإلحاد والتيارات المادية.

ويأتي «النظام الدولي الجديد» عاملاً رئيساً في إحياء تلك الشجرة الخبيثة، كما هو ظاهر في مثل هذه الأيام القريبة، من كثرة المؤتمرات والملتقيات التي تسعىٰ إلىٰ وحدة وخلط الديانات.

إن الدعوة إلىٰ وحدة الأديان كفر صريح، لما تتضمنه من تكذيب للنصوص الصحيحة الظاهرة، والتي تقرر - قطعياً - بأن دين الإسلام هو الكامل، الذي أتم الله به النعمة، ورضيه لنا ديناً، وأنه هو الناسخ لما سبقه من ديانات اعتراها التحريف والتبديل، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥][١].

لهذا: فلا يجوز لمسلم يؤمن بالله رباً وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ

(١) نواقض الإيمان القولية والعملية ص ٣٧٧.

رسولا، الاستجابة لها، ولا الدخول في مؤتمراتها، وندواتها، واجتماعاتها، وجمعياتها، ولا الانتماء إلىٰ محافلها، بل يجب نبذها، ومنابذتها، والحذر منها، والتحذير من عواقبها، واحتساب الطعن فيها، والتنفير منها، وإظهار الرفض لها، وطردها من ديار المسلمين، وعزلها عن شعورهم، ومشاعرهم، والقضاء عليها، ونفيها، وتغريبها الىٰ غَرْبِها، وحجرها في صدر قائلها. ويجب علىٰ الوالي المسلم إقامة حد الردة علىٰ أصحابها، بعد وجود أسبابها وانتفاء موانعها، حماية للدين، وردعاً للعابثين، وطاعة لله ولرسوله ﷺ وإقامة للشرع المطهَّر.

وليعلم كل مسلم عن حقيقة هذه الدعوة: أنها فلسفية النزعة، سياسية النشأة، إلحادية الغاية، تبرز في لباس جديد لأخذ ثأرهم من المسلمين: عقيدة وأرضاً وملكاً، فهي تستهدف الإسلام والمسلمين في:

إيجاد مرحلة التشويش علىٰ الإسلام، والبلبلة في المسلمين، وشحنهم بسيل من الشبهات والشهوات ليعيش المسلم بين نفس نافرة، ونفس حاضرة.

وكف أقلام المسلمين وألسنتهم عن تكفير اليهود والنصارىٰ وغيرهم ممن كفرهم الله وكفرهم رسوله ﷺ، إن لم يؤمنوا بهذا الإسلام ويتركوا ما سواه من الأديان.

وتستهدف كف المسلمين عن ذروة سنام الإسلام: الجهاد في سبيل

الله، ومنه جهاد الكتابيين، ومقاتلتهم على الإسلام، وفرض الجزية عليهم إن لم يسلموا.

وتستهدف هدم قاعدة الإسلام وأصله «الولاء والبراء» و«الحب والبغض في الله»، فترمي هذه النظرية الماكرة إلى كسر حاجز براءة المسلمين من الكافرين ومفاصلتهم، والتدين بإعلان بغضهم وعداوتهم والبعد عن موالاتهم وتوليهم وموادتهم وصداقتهم.

وخلاصته: أن دعوة المسلم إلى توحيد دين الإسلام مع غيره من الشرائع والأديان الدائرة بين التحريف والنسخ بشريعة الإسلام: ردة ظاهرة وكفر صريح، لما تعلنه من نقض جريء للإسلام أصلا، وفرعاً واعتقاداً، وعملاً، وهذا إجماع لا يجوز أن يكون محل خلاف بين أهل الإسلام[1].

(١) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، بكر بن عبدالله أبوزيد ص٣٦، ومابعدها.

*** الناقض التاسع :**

من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وهذا المعتقد مشتهر عند غلاة الصوفية والباطنية.

وقد صور الإمام ابن الجوزي حال هؤلاء فقال: «إن قوماً منهم داوموا على الرياضة مدة فرأوا أنهم قد تجوهروا فقال: لا نبالي الآن ما عملنا وإنما الأوامر والنواهي رسوم للعوام، ولو تجوهروا لسقطت عنهم، قالوا: وحاصل النبوة ترجع إلى الحكمة والمصلحة، والمراد منها ضبط العوام، ولسنا من العوام فندخل في حجر التكليف، لأنا قد تجوهرنا وعرفنا الحكمة»[١].

ووصفهم شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: «ومن هؤلاء من يحتج بقوله: ﴿واعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، ويقول معناها: اعبد ربك حتى يحصل لك العلم والمعرفة، فإذا حصل ذلك سقطت العبادة، وربما قال بعضهم: اعمل حتى يحصل لك حال، فإذا حصل لك حال تصوفي سقطت عنك العبادة، وهؤلاء فيهم من إذا ظن حصول مطلوبه من المعرفة والحال استحل ترك الفرائض، وارتكاب المحارم، وهذا كفر... وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿واعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ

(١) تلبيس إبليس ٤٩٦.

يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، فهي عليهم لا لهم، قال الحسن البصري: إن الله لم يجعل لعمل المؤمنين أجلا دون الموت، وقرأ قوله: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، وذلك أن اليقين هنا الموت ومابعده باتفاق علماء المسلمين . . . وأما أن يظن أن المراد: اعبده حتىٰ يحصل لك إيقان، ثم لا عبادة عليك، فهذا كفر باتفاق أئمة المسلمين»[١].

وقال أيضا: «ومن هؤلاء من يظن أن الاستمساك بالشريعة ـ أمراً ونهياً ـ إنما يجب عليه ما لم يحصل له من المعرفة أو الحال، فإذا حصل له لم يجب عليه حينئذ الاستمساك بالشريعة النبوية، بل له حينئذ أن يمشي مع الحقيقة الكونية القدرية، أو يفعل بمقتضىٰ ذوقه ووجده وكشفه ورأيه، من غير اعتصام بالكتاب والسنة، وهؤلاء منهم من يعاقب بسلب حاله حتىٰ يصير منقوصاً عاجزاً محروما، ومنهم من يعاقب بسلب الطاعة حتىٰ يصير فاسقاً، ومنهم من يعاقب بسلب الإيمان حتىٰ يصير مرتداً، ومنافقاً، أو كافراً ملعناً، وهؤلاء كثيرون جدا، وكثير من هؤلاء يحتج بقصة موسىٰ والخضر»[٢].

وبّين رحمه الله احتجاجهم بقصة موسىٰ والخضر فقال:

«وأما احتجاجهم بقصة موسىٰ والخضر فيحتجون بها علىٰ وجهين:

أحدهما: أن يقولوا: إن الخضر كان مشاهداً الإرادة الربانية

(١) مجموع الفتاوىٰ ١١/ ٤٠٥ بتصرف.

(٢) المرجع السابق ١١/ ٤١٨.

الشاملة، والمشيئة الإلهية العامة، وهي «الحقيقة الكونية»، فلذلك سقط عنه الملام فيما خالف فيه الأمر والنهي الشرعي، وهو من عظيم الجهل والضلال، بل من عظيم النفاق والكفر، فإن مضمون هذا الكلام: أن من آمن بالقدر وشهد أن الله رب كل شيء، لم يكن عليه أمر ولا نهي، وهذا كفر بجميع كتب الله ورسله، وما جاءوا به من الأمر والنهي.

وأما الوجه الثاني: فإن من هؤلاء من يظن: أن من الأولياء من يسوغ له الخروج عن الشريعة النبوية، كما ساغ للخضر الخروج عن متابعة موسى، وأنه قد يكون للولي في المكاشفة والمخاطبة ما يستغني به عن متابعة الرسل في عموم أحواله أو بعضها، وكثير منهم يفضل الولي في زعمه، إما مطلقاً، وإما من بعض الوجوه على النبي، زاعمين أن في قصة الخضر حجة لهم.

وكل هذه المقالات من أعظم الجهالات والضلالات، بل من أعظم أنواع النفاق والإلحاد والكفر، فإنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام: أن رسالة محمد بن عبدالله ﷺ لجميع الناس: عربهم وعجمهم، وملوكهم وزهادهم وعلمائهم وعامتهم، وأنها باقية دائمة إلى يوم القيامة، بل عامة للثقلين الجن والإنس، وأنه ليس لأحد من الخلائق الخروج عن متابعته وطاعته وملازمة ما يشرعه لأمته من الدين، وما سنه لهم من فعل المأمورات وترك المحظورات، بل لو كان الأنبياء المتقدمون قبله أحياء لوجب عليهم متابعته ومطاوعته»[1].

(١) المرجع السابق ١١/ ٤٢٠.

ورد رحمه الله على احتجاجهم بقصة موسى والخضر بقوله:

«ومن احتج في ذلك بقصة موسى مع الخضر كان غالطاً من وجهين:

أحدهما: أن موسى لم يكن مبعوثاً إلى الخضر، ولا كان على الخضر اتباعه، فإن موسى كان مبعوثاً إلى بني اسرائيل، وأما محمد ﷺ فرسالته عامة لجميع الثقلين الجن والإنس.

الثاني: أن ما فعله الخضر لم يكن مخالفاً لشريعة موسى عليه السلام، وموسى لم يكن علم الأسباب التي تبيح ذلك، فلما بينها له وافقه على ذلك»[١].

وتكلم عن كفر هؤلاء فقال:

«فمن لم يؤمن بأن هذا رسول الله إلى جميع العالمين، وأنه يجب على جميع الخلق متابعته، وأن الحلال ما أحله، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، فهو كافر مثل هؤلاء المنافقين ونحوهم ممن يجوز الخروج عن دينه وشريعته وطاعته، إما عموماً وإما خصوصاً، ويعتقدون مع هذا أنهم من أولياء الله، وأن الخروج عن الشريعة المحمدية سائغ لهم، وكل هذا ضلال وباطل»[٢].

وقال أيضا: «ومن فضل أحداً من المشايخ على النبي ﷺ، أو اعتقد

(١) المرجع السابق ١١/ ٢٦٣.
(٢) جامع الرسائل ٤٤.

أن أحداً يستغني عن طاعة رسول الله ﷺ، استتيب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وكذلك من اعتقد أن أحداً من أولياء الله يكون مع محمد ﷺ كما كان الخضر مع موسىٰ عليه السلام، فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه»[1].

(١) مجموع الفتاوىٰ ٣/ ٤٢٢.

* **الناقض العاشر :**

الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى:
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾
[السجدة: ٢٢] .

والمقصود بالإعراض : هو الإعراض التام عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به ، وهو التولي عن طاعة الرسول ، والامتناع عن الاتباع ، والصدود عن قبول حكم الشريعة ، فإذا كان جنس العمل الظاهر من أصل الإيمان ، فإن تركه وعدم الالتزام به إعراض كلي عن هذا العمل ، ومن ثم فهو كفر مخرج عن الملة .

لكن يجب أن يعلم أن الإعراض ليس كله مما يخرج عن الملة ، بل منه ما هو مخرج من الملة ، وهو الإعراض عن جنس العمل (الطاعة) ، والذي يعد شرطاً في صحة الإيمان .

كما وضحه ابن تيمية قائلا :

«وقد تبين أن الدين لا بد فيه من قول وعمل ، وأنه يمتنع أن يكون الرجل مؤمناً بالله ورسوله بقلبه ، أو بقلبه ولسانه ، ولم يؤد واجباً ظاهراً ، ولا صلاة ، ولا زكاة ، ولا صياماً ، ولا غير ذلك من الواجبات»(١) .

وهناك إعراض لا يخرج من الملة ، كأن يكون معه أصل الإيمان ، لكنه يعرض عن فعل واجب من الواجبات الشرعية ، وبهذا ندرك

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٦٢١ .

الفرق بين الإعراض الكلي عن جنس العمل الظاهر «الطاعة أو الاتباع»، وبين الإعراض الجزئي عن بعض العمل، فالأول ينقص الإيمان وينفيه بالكلية، والآخر ينقص الإيمان، لكنه لا ينفيه بالكلية[١].

يقول ابن تيمية: «وأصل ضلال هؤلاء (الرافضة والجهمية) الإعراض عما جاء به الرسول من الكتاب والحكمة، وابتغاء الهدىٰ في خلاف ذلك، فمن كان هذا أصله فهو بعد بلاغ الرسالة كافر لاريب فيه»[٢].

ويعرف ابن القيم كفر الإعراض بقوله:

«وأما كفر الإعراض فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول، لا يصدق ولا يكذب، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلىٰ ما جاء به ألبتة»[٣].

ويقول في موضع آخر عن أنواع الكفر:

«وكفر إعراض محض لا ينظر فيما جاء به الرسول، ولا يحبه، ولا يبغضه، ولا يواليه، ولا يعاديه، بل هو معرض عن متابعته ومعاداته»[٤].

ويذكر الفرق بين المعرض المفرط وبين العاجز قائلاً:

---

(١) انظر نواقض الإيمان القولية والعملية ص ٣٤٥.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ١٢/ ٤٩٧.

(٣) مدارج السالكين ١/ ٣٤٧.

(٤) مفتاح دار السعادة ١/ ٩٤.

«كل من أعرض عن الاهتداء بالوحي الذي هو ذكر الله، فلا بد أن يقول يوم القيامة: ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ [الزخرف: ٣٨].

فإن قيل: لهذا عذر في ضلاله إذا كان يحسب أنه على الهدى، كما قال تعالى: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠].

قيل لا عذر لهذا وأمثاله من الضلال الذين منشأ ضلالهم الإعراض عن الوحي الذي جاء به الرسول ﷺ، ولو ظن أنه مهتد، فإنه مفرط بإعراضه عن اتباع داعي الهدى، فإذا ضل فإنما أتي من تفريطه وإعراضه، وهذا بخلاف من كان ضلاله لعدم بلوغ الرسالة وعجزه عن الوصول إليها، فذاك له حكم آخر، والوعيد في القرآن إنما يتناول الأول، وأما الثاني فإن الله لا يعذب أحداً إلا بعد إقامة الحجة عليه»[(١)].

ويقول أيضا: «إن العذاب يستحق بسببين: أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها»[(٢)].

والله تعالى نفى الإيمان عمن أعرض وتولى عن دين الله عزوجل، يقول تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ. وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [النور: ٤٧، ٤٨].

---

(١) المرجع السابق ١/ ٤٣.
(٢) طريق الهجرتين ٤١٤.

يقول ابن تيمية عن هذه الآية: «فنفى الإيمان عمن تولى عن العمل وإن كان قد أتى بالقول، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢]، وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢].

ففي القرآن والسنة من نفي الإيمان عمن لم يأت بالعمل مواضع كثيرة[1].

وقد قرر القرآن أن الإعراض والتولي عن طاعة الله كفر، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

يقول ابن كثير في تفسيره: «فإن تولوا» أي تخالفوا عن أمره، «فإن الله لا يحب الكافرين»، فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر، والله لا يحب من اتصف بذلك وإن ادعى وزعم في نفسه أنه محب لله ويتقرب إليه، حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل ورسول الله إلى جميع الثقلين»[2].

وذكر القرآن الكريم أن الإعراض عن دين الله تعالى من صفات المنافقين، وأن التولي عن طاعته من النفاق.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ١٤٢.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٣٣٨.

﴿الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١].

ويقول ابن تيمية في هذه الآية: «فبين سبحانه أن من تولى عن طاعة الرسول، وأعرض عن حكمه، فهو من المنافقين، وليس بمؤمن، وأن المؤمن هو الذي يقول سمعنا وأطعنا، فالنفاق يثبت، ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم إلى غيره»[١].

ويقول ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا . مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا . خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً﴾ [طه: ٩٩، ١٠٠]: وهذا عام في كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وأهل الكتاب، وغيرهم، كما قال تعالى: ﴿لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، فكل من بلغه القرآن فهو نذير له وداع، فمن اتبعه هدي، ومن خالفه وأعرض عنه ضل وشقي في الدنيا، والنار موعده يوم القيامة»[٢].

ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٦].

يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب عن هذه الآية: «ذكر الله لمن

---

(١) الصارم المسلول ص ٣٣.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ١٦٠.

أعرض عن القرآن عقوبتين: إحداهما: المعيشة الضنك، وفسرها السلف بنوعين: أحدهما: ضنك الدنيا، وهو أنه إن كان غنياً، سلط عليه خوف الفقر، وتعب القلب والبدن في جميع الدنيا، حتى يأتيه الموت ولم يهنأ بعيش.

الثاني: الضنك في البرزخ وهو عذاب القبر. وفسر الضنك في الدنيا أيضا بالجهل، فإن الشك والحيرة لهما من القلق وضيق الصدر ما لهما»[1].

(١) مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب ٤/ ٢٦٦.

ولا فرق في جميع هذه النواقض، بين الهازل والجاد، والخائف، إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطراً، ومن أكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه، وصلى الله على محمد.

ختم المؤلف رحمه الله هذه النواقض العشر بأنه لا يعذر أحد كفر بعد إيمانه إلا من كان مكرهاً، وأما من كفر على سبيل الاختيار لأي عرض من الأعراض، سواء كان مازحاً أو هازلاً أو قاصداً أو خائفاً على مال أو جاه أو منصب، أو ما أشبه ذلك، فإنه يكون كافراً، فالله ـ عز وجل ـ لم يعذر من كفر إلا من كان مكرهاً، بشرط أن يكون قلبه مطمئنا بالإيمان.

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتابه «كشف الشبهات»: «لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما، وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون: هذا حق ونحن نفهم هذا، ونشهد أنه الحق، ولكن لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم، وغير ذلك من الأعذار، ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار، كما قال تعالى: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ [التوبة: ٩]، وغير ذلك من الآيات كقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ﴾[الأنعام: ٢٠]، فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يفهمه،

أو لا يعتقده بقلبه فهو منافق، وهو شر من الكافر الخالص: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة تتبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس، ترىٰ من يعرف الحق ويترك العمل به لخوف نقص دنيا أوجاه أو مداراة لأحد وترىٰ من يعمل به ظاهراً لا باطناً، فإذا سألته عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه، ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله: أولاهما قوله: ﴿لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]، فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ، كفروا بسبب كلمة قالوها علىٰ وجه المزح واللعب، تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به خوفاً من نقص مال أوجاه أو مداراة لأحد أعظم ممن تكلم بكلمة يمزح بها، والآية الثانية قوله تعالىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئنا بالإيمان، وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه، سواء فعله خوفاً أو مداراة أو مشحة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله، أو فعله علىٰ وجه المزح، أو لغير ذلك من الأغراض، إلاّ المكره، والآية تدل علىٰ هذا من جهتين:

الأولىٰ: قوله ﴿إلا من أكره﴾ فلم يستثن الله إلا المكره، ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا علىٰ العمل أو الكلام، وأما عقيدة القلب فلا يكره أحد عليها.

والثانية: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٧]، فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل أو البغض للدين أو محبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا، فآثره على الدين»[(١)].

ثم ختم شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى نواقض الإسلام ببيان عظم وخطورة هذه النواقض، وأنها من أكثر ما يكون وقوعاً، وأنه يجب الحذر والخوف على النفس منها، والاستعاذة من موجبات غضب الله وأليم عقابه.

وبهذا انتهى شرح نواقض الإسلام، فنسأل الله تعالى أن يثيب مؤلفه أحسن ثواب، وأن يجعل لنا نصيباً من أجره وثوابه، وأن يجمعنا وإياه في دار كرامته، إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

---

(١) مجموعة التوحيد ١/ ١١٣ .

المـراجـع

١ـ القرآن الكريم .

٢ـ الأدب المفرد، للبخاري .

٣ـ الأصول الثلاثة لمحمد بن عبدالوهاب .

٤ـ الإبطال لنظرية الخلط بين الإسلام وغيره من الأديان، لبكر أبوزيد .

٥ـ الإمام محمد بن عبدالوهاب دعوته وسيرته، لابن باز .

٦ـ اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية .

٧ـ تاج العروس ، للزبيدي .

٨ـ تاريخ نجد ، لابن بشر .

٩ـ التاريخ الكبير، للبخاري .

١٠ـ التبرك المشروع والتبرك الممنوع ، لعلي العلياني .

١١ـ تفسير القرآن الكريم، لابن كثير .

١٢ـ تلبيس إبليس، لابن الجوزي .

١٣ـ التنبيهات المختصرة، للخريصي .

١٤ـ تهذيب اللغة، للأزهري .

١٥ـ تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبدالله بن محمد بن

عبدالوهاب .

١٦ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي .

١٧ـ جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري .

١٨ـ جامع الرسائل، لابن تيمية .

١٩ـ الجواب الكافي، لابن القيم .

٢٠ـ الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع ابن القاسم .

٢١ـ الرد على البكري، لابن تيمية .

٢٢ـ رسالة أوثق عرى الإيمان، لسليمان بن عبدالله آل الشيخ .

٢٣ـ رسالة تحكيم القوانين، لمحمد بن إبراهيم .

٢٤ـ سنن أبي داود .

٢٥ـ شرح الأصول الثلاثة، لابن عثيمين .

٢٦ـ شرح الإقناع .

٢٧ـ شرح العقيدة الطحاوية ، لابن ابي العز .

٢٨ـ الشفا، للقاضي عياض .

٢٩ـ صحيح البخاري .

٣٠ـ صحيح الترمذي .

٣١ـ صحيح مسلم .

٣٢ـ الصارم المسلول، لابن تيمية.

٣٣ـ طريق الهجرتين، لابن القيم.

٣٤ـ العقيدة الصحيحة وما يضادها، لابن باز.

٣٥ـ علماء الدعوة، لعبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ.

٣٦ـ فتاوىٰ وأحكام الداخلين في الإسلام، جمع علي أبو لوز.

٣٧ـ قاعدة في المحبة، لابن تيمية.

٣٨ـ القوادح في العقيدة، لابن باز.

٣٩ـ القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد، لابن عثيمين.

٤٠ـ لسان العرب، لابن منظور.

٤١ـ مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية.

٤٢ـ مجموعة التوحيد، جمع ابن قاسم.

٤٣ـ مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

٤٤ـ مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة، لابن باز.

٤٥ـ مجموع فتاوىٰ ورسائل، ابن عثيمين.

٤٦ـ المحلىٰ، لابن حزم.

٤٧ـ مختصر معارج القبول، للقحطاني.

٤٨ـ مدارج السالكين، لابن القيم.

٤٩ـ المسند للإمام أحمد.

٥٠ـ مفتاح دار السعادة، لابن القيم.

٥١ـ من تشبه بقوم فهو منهم، د. ناصر العقل.

٥٢ـ نواقض الإيمان الاعتقادية، د. محمد الوهيبي.

٥٣ـ نواقض الإيمان القولية والعملية، د. عبدالعزيز آل عبداللطيف.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة